

مَجَلة شَهرِيَّة اسُلاميَّة أَدبيَّة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٠)	ذو الحجة ١٤٢٩ هـ
العدد الثاني عشر	ديسمبر ٢٠٠٨ م

المشرف على المجلة: الدكتور مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهري

مساعد المشرف: أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صوت الأمة بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ريوري تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الهند (١١٠) روبية، ثمن النسخة (١٠) روبيات في الخارج (٣٦) دولار بالبريد الجوي، (١٥) دولار بالبريد العادي

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣

محتويات العدد

العنوان	الصفحة

الافتتاحية

عود على بدء
المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار

عقد المؤتمر الاسلامي العالمي للحوار في مكة المكرمة برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، حفظه الله ورعاه، "وقد كانت توجيهاته ورعايته، حفظه الله، نابعة من حرصه الشديد على احلال التعايش والتواصل والتعاون بين البشر مكان التنافر والصراع، ايمانا منه بأن الحوار يحقق التعارف بين الشعوب، ويحقق ما ورد في كتاب الله العظيم وسنة رسوله الأمين محمد ﷺ من توجيه كريم للناس بالتعاون على اقامة المجتمع الانساني على قواعد من التعارف والتواصل".

"والتعارف هو المدخل الحكيم والموضوعي للتفاهم بين أتباع الأديان والثقافات والحضارات من أجل مواجهة المستجدات الحياتية والتحديات الحضارية".

"ولما كان الحوار سمة من سمات الدين الاسلامي، ووسيلة من وسائله الحكيمة في ابلاغ رسالته، والتعريف بمقاصدها الانسانية النبيلة الجليلة لجميع الناس، فقد جاء منهج القرآن الكريم ليؤصل ويرسخ ثقافة الحوار في بنية التكوين التربوي والسلوكي للمسلم".

"والمملكة العربية السعودية منذ أن تأسست على يد الامام المؤسس الملك عبد العزيز، طيّب الله ثراه، جعلت التفاهم والحوار مع الآخر من أساسيات نهجها السياسي والثقافي، واهتمت بالحوار مع أتباع الأديان والثقافات والحضارات الأخرى منذ زمن بعيد.

"ومن ذلك أن الامام المؤسس للمملكة العربية السعودية جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله، عقد مؤتمرا عالميا في مكة المكرمة عام ١٩٢٦م، دعا اليه قادة النضال الوطني في البلدان العربية والاسلامية، وكانت جميعها يومئذ تحت سطوة الاستعمار الأجنبي. وانبثق عن المؤتمر أول منظمة اسلامية عالمية سميت (مؤتمر العالم الاسلامي)، وأسندت رئاسة المؤمتر لسمو الأمير فيصل بن عبد العزيز، حيث كان حينذاك نائبا لجلالة الملك عبدالعزيز

في الحجاز، ووضعوا ميثاقا ما للمؤتمر، ومن أبرز ما جاء فيه:

١ – العمل على تحقيق التضامن العربي والاسلامي.

٢ – السعي لفتح الحوار مع الثقافات والحضارات.

● والمحطة الثانية هي اللقاء التاريخي في الرياض عام ١٩٧٢ م، بين نخبة من رجال الفكر والقانون من أوربا يرأسهم معالي السيد ماك برايد، وهو شخصية أوربية متميزة، ونخبة من كبار العلماء في المملكة العربية السعودية يرأسهم معالي الشيخ محمد على الحركان، رحمه الله، وزير العدل.

● والمحطة الثالثة في عام ١٩٧٤ م توجه وفد رفيع المستوى من علماء ورجال الفكر في المملكة العربية السعودية للحوار مع نظرائهم من رجال الدين والفكر والقانون في أوربا، حيث عقد الوفد عددا من اللقاء ات في الفاتيكان – روما، باريس، سترا سبورغ، المجلس العالمي للكنائس، وحصل لقاء مع بابا الفاتيكان بولس السادس.

● وكذلك تم بذل الجهود لاجراء الحوار وتبادل الآراء في السنوات ١٩٩٢ ، و ١٩٩٣ م، و ١٩٩٤م، و ١٩٩٧، وغيرها من المناسبات.

● والمحطة الأبرز في مسيرة الحوار المعاصر: مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بزيارة بابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر، في سياق جولته الميمونة لزيارة عدد من القيادات الأوربية".

● وقد أشار الدكتور نصيف الى أهمية التنسيق بين المؤسسات والهيئات العاملة في الدعوة والتعليم والاغاثة، وخاصة فى مجال الحوار، الرهان الأكبر، والتحدي الأصعب أمامنا جميعا من أجل تحقيق غاياتنا المشتركة النبيلة بالتعريف بالاسلام ومقاصدر رسالته الربانية الانسانية السمحة، ومن أجل تحقيق آمالنا في التنسيق والانتظام.

ومن الرؤية التي اقترحها صاحب المقال ما يلي:

أولا: الحوار الاسلامي – الاسلامي :

والنقاط التي طرحها في هذا النوع قد بلغت (١٤) نقطة.

وثانيا: الحوار مع الآخر:

وقد بلغت النقاط في هذا النوع (١١) نقطة.

وكذلك أشار صاحب المقال الى ثوابتنا العقدية في الحوار، (٨ نقاط) والى ثوابتنا الانسانية في الحوار (١٥) نقطة.

وهكذا عرض نماذج من انتظام المفاهيم مع الآخر، وهي في (١٠) نقاط.

ومثل هذا المؤتمر يكتسب أهمية بالغة اذا نظرنا الى الظروف المعاصرة على المستوى الدولي، فان النداء بصراع الحضارات ليس في صالح البشرية، والدافع الى مثل هذا النداء ينم عن الانحراف في النية والسلوك، ولذلك رأينا أن هذه النظرية لم تلق استجابة من أهل العقل والانصاف.

ولمؤتمر الحوار أهمية بالغة كذلك اذا نظرنا الى الأوضاع الراهنة فى شبه القارة الهندية، فان المسلمين في هذه المنطقة في حاجة الى تنشيط الحوار فيما بينهم حتى يتحقق التفاهم بين الجماعات المختلفة، وتسعى هذه الجماعات لتحقيق أهداف الاسلام بالتعاون فيما بينها، وهذا أمر مهم جدا يستحق من المهتمين بمستقبل الأمة في هذه المنطقة كل عناية وجهد. والذين يغمضون العيون عن واقع المسلمين في هذه المنطقة، ويمجدون فئتهم وأعمالها، ويغمطون حقوق الآخرين من الذين يعملون في هذه الأقطار، لا أراهم يقدمون للدعوة ما يزيدها انتشارا وتأثيرا، بل صنيعهم هذا ينفر الناس عنهم، ويشككهم في نياتهم، ويجعلهم ينتظرون من يتناول هذا التاريخ بنزاهة وعدل. وبعد قراء ة أبحاث مؤتمر الحوار أحببت أن أدون بعض الانطباعات الخاصة بها رجاء أن يجد قبولا لدى المهتمين بالموضوع، فالى تلك السطور:

إن التاريخ الديني للمسلمين في الهند – بل بتعبير أدق – في شبه القارة الهندية، تاريخ طويل لعب فيه الدور جماعات ومنظمات وشخصيات عديدة، وحيث إن المسلمين في هذه البلاد منقسمون الى جماعات مختلفة حسب الأصول أو الفروع، فان بيان التاريخ لا يكون عادلا الا اذا روعي فيه هذه الجماعات، وتم التنويه بما قام به أفرادها في مجال العمل الاسلامي.

وعلى هذا كان المتابعون لفعاليات مؤتمر الحوار الذى عقدته رابطة العالم الاسلامي برعاية خادم الحرمين الشريفين حفظه الله تعالى يتوقعون أن أبحاث المؤتمر التي تتناول موضوع مسلمي الهند وما قاموا به من نشر الدعوة الى الله تعالى، والعلوم الشرعية المستقاة من الكتاب والسنة، وما دافعوا به عن حوزة الدين الحنيف ومبادئه السامية، لا تنحاز الى فئة، ولا تقصر فى الاعتراف بالحق، ذلك تشجيعا للعاملين، وترغيبا للآخرين. ولكن بعض الباحثين اتجه اتجاها آخر، وأبرز من الأنشطة والأعمال ما أحب، وأثنى على الشخصيات التي انتمى اليها، بل جعل شأنها شأن الأعلام مثل ابن تيمية وابن القيم، رحمهما الله تعالى، والحق أن أحدا لا يريد الانتقاص من العلماء المسلمين وأئمة الدين، ولا يرضيه أن تبخس حقوقهم، وأن تخدش مكانتهم، ولكن الطريق الأعدل أن لا يهال التراب على محاسن الآخرين حينما يذكر الانسان محاسن جماعته. أقول ذلك بمرارة بالغة، ولو أوردت الأمثلة تضاعفت المرارة، ولذا أرجو من أصحاب الأقلام أن يكونوا واقعيين معتدلين اذا ظفروا بالتمثيل عن مسلمي الهند في مؤتمر عالمي وفي أحسن بقعة وعلى دعوة من منظمة عالمية لها تاريخها ودورها في خدمة الاسلام والمسلمين. وكذلك أرجو منهم الاطلاع على الأعمال والأدوار التي قام بها علماء المسلمين في الهند في مجال مقاومة القاديانية والنصرانية والهندوكية والشيعة والبريلوية. هذه صفحة بيضاء لا يمكن تشويهها أو طمسها مهما احتال المحتالون واختلق المختلقون. ان صنع التأريخ يقوم به الآن بعض الجهات المتطرفة من غير المسلمين في الهند، فلو سلك أحد من المسلمين هذا المسلك لم تبق حرمة للحق والعدل، ولوجد المبطلون دليلا لموقفهم الجائر وتصرفهم الخاطيء!

قبل نحو نصف قرن لم يكن هناك تاريخ مدون لجماعة أهل الحديث في الهند، ولذا تعرضت هذه الجماعة لكثير من المزاعم والأباطيل، ولكن اليوم نحمد الله عز وجل على أنه وفق بعض عباده لجمع تاريخ هذه الجماعة، ولابراز دورها في تاريخ الهند، ولشرح ما لاقته في ممارسة نشاطها في مجال الدعوة الى الله تعالى. شواهد مواقف الناس المخزية من هذه الجماعة ليست خافية اليوم، ولكن اثارة هذه الأمور في ظروف الهند المعاصرة ليست في

الاسلام والمسلمين، ولذا نسكت على الاساء ات والافتراء ات، ونرجو من الذين يغمطون الحق أن يراعوا المبدأ الذى قرره الاسلام بهذا الصدد، وهو ليس بخاف عليهم !

وقد ورد في بعض أبحاث المؤتمر ما يؤيد الموقف المحايد في الكتابة عن الآخرين، يقول باحث:

"كما تقتضي المنهجية العلمية عدم تغليب دوافع الذات وعواطفها وانحيازاتها الفكرية والاجتماعية على العناصر الحقيقية والعلمية للموضوع بحيث لا يتحدد الموقف بشكل تعسفي وعلى غير ما يجب أن يكون من صدق وأمانة واخلاص وتوازن". (٢١١/١)

واستعدادنا للحوار انما يعني أننا فتحنا صدورنا لغيرنا، وأحببنا أن نتبادل معه الآراء، ونسبر ما عنده من الأصول والأهداف، ونكن له عواطف الخير والمودة. وهذا الموقف هو الذي يحمله على التفكر في دعوتنا، ويدفعه - اذا شاء الله تعالى - الى قبول الحق، والخضوع لتعاليم الاسلام. ولكنه اذا لمس أننا نكرهه، ونتعالى عليه، ونحاول ابراز التفوق عليه، ونعتبره من المقصرين في أداء الواجب، فانه يندفع الى الشك في نوايانا، والى النظر في دعوة الاسلام للأخوة والمحبة، واعتبار الناس جميعا متساوين في الحقوق.

والدعوة الى الحوار، سواء وجهت الى أمة الإجابة أو أمة الدعوة، لا تكون مثمرة الا اذا تيقّن المدعو بأنها حق، وبأن الداعي يكنّ له الخير، ولا يهدف الى اظهار الفضل عليه. واننا اذا تكلمنا عن التاريخ الديني والثقافي للمسلمين، وجب علينا ابراز فضل الأفراد والجماعات واعطاء كل ذي حق حقه، فهذا المنهج هو الذي يقنع الآخرين، ويرضي طلاب الحق، ويتيح الفرصة لاعداد تاريخ نزيه يثق به كل من يطلع عليه.

واني هنا أود أن أشير الى بعض الأعمال التي تمت على أيدي علماء أهل الحديث في بيان دسائس المبشرين النصارى في الهند، ومحاولة تشويههم لتعاليم الاسلام، وكيف يمكن الردّ عليهم بالبراهين والأدلة.ان الكتاب - الذين يسطرون تاريخ الهند - أصناف، وليس من الواجب أن عملا معينا يرضي الجميع، ولكن الذى يتفق عليه جميع الكتاب أو أغبلهم، هو

أن العمل الإيجابي يبقى لمدة أطول، وفوائده تعمّ مختلف الطبقات في المجتمع، ولذا ينبغي أن تكون مثل هذه الأعمال الموضوعية موضع عناية المؤلفين، وخاصة الذين يتحملون مسئولية كتابة التأريخ لشبه القارة الهندية، ويدخل فيه تاريخ المسلمين الديني والعلمي.

والكتاب الذي أود التعريف به تعريفا موجزا اسمه بالأردية (تقابلِ ثلاثة) ومعناه مقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة، وهي: التوراة والانجيل والقرآن.

ومؤلف الكتاب هو شيخ الاسلام العلامة أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري، رحمه الله تعالى، واني هنا لا أرى الحاجة الى القاء الضوء على حياته وأعماله، فان عديدا من الكتب والدراسات قد ظهرت حول حياته وانتاجه باللغة العربية والأردية، ولقيت قبولا في الأوساط العلمية في الهند وباكستان، وهذا العاجز أيضا كتب عدة مقالات في مجلة (صوت الأمة) بهدف الاشارة الى معالم حياته، والى الجهود التي بذلها العلامة في مقاومة القاديانية. والجدير بالذكر أن العلامة ثناء الله هو الذى فضح الميرزا غلام الكذاب، فأعلن أن الله تعالى يهلك الكاذب منا بمرض غير عادي، فهلك القادياني، وعاش الشيخ الأمرتسري بعده نحو أربعين سنة. وبهذه المناسبة لقب الناس الأمرتسري بـ "فاتح قاديان" و "أسد بنجاب".

وكذلك يجدر بالذكر أن نشاط الشيخ الأمرتسرى كان متنوعا، فقد ألف كثيرا من المؤلفات القيمة، واستمر نحو أربعين سنة يصدر جريدة "أهلحديث" الأسبوعية، وكان قد خصص في هذه الجريدة صفحات وأعمدة للحوار مع الملاحدة والهنادك والنصارى والقاديانية والشيعة والمبتدعة وكل من سلك طريقا يخالف طريق الاسلام، وكذلك كانت له مناقشات مع منكري السنة ومع كل من يخالف طريق السلف الصالح ومنهجهم.

والكتاب الذي نحن بصدده الآن (تقابل ثلاثة) طبع عدة طبعات في شبه القارة الهندية، وبعد استقلال الهند ظهرت له بعض الطبعات فى الهند وباكستان أيضا.

وعندي الآن نسخة من طبعة (جمعية أهل حديث في لاهور، وتحمل تاريخ شهر رجب ١٤٠٤ هـ = ابريل ١٩٨٤ م. ونسخة من طبعة الأستاذ محمد أرقم بن سلمان، وقد ظهرت من

دهلي في شهر فبراير ١٩٨٧ م.

تقع نسخة لاهور في (١٢٨) صفحة بالقطع الكبير، ونسخة دهلي في (٣٠٣) صفحة بالقطع المتوسط. وتخلو الأولى من الفهرس، بينما تحتوي الثانية على الفهرس، وهو مع ايجازه كالآتي:

١ – كلمة الناشر
٢ – رجاء المؤلف
٣ – تمهيد مهم
٤ – تنبيه
٥ – دعوى الالهام
٦ – أدلة وجود صانع العالم
٧ – دعوى التوحيد
٨ – التكثر في ذات الاله (هامش)
٩ – لابد من العقيدة الجامعة للنجاة (هامش)
١٠ – أدلة التوحيد
١١ – صفات الله تعالى
١٢ – أحكام الشريعة
١٣ – الأخلاق العامة
١٤ – تدبير المنزل
١٥ – القوانين المدنية والجنائية
١٦ – أحكام الحرب
١٧ – الصلح وأحكام أسرى الحرب
١٨ – القيامة وطريق النجاة

وهذه العناوين قد شرحها المؤلف، وعلق عليها، وبيّن نصيب كل منها من الكتب الثلاثة، واني سوف أعود الى ما كتبه المؤلف بهذا الصدد، ولكن أود أن أرجع أولا الى عنوان "رجاء المؤلف" وما تلاه من العنوانين، فأقول:

كشف المؤلف تحت عنوان "رجاء المؤلف" عن الدافع الذي دفعه الى تأليف كتابه الذى نريد التعريف به، فقال: إنه اطلع على المناقشة التي تجري بين الأديان حينا بعد آخر، وعلى الرسائل التي ألفها النصارى حول عدم ضرورة القرآن، فشعر بضرورة الكتابة في موضوع المقارنة بين الكتب الالهامية للديانات الأربع: الاسلام، واليهودية، والنصرانية، والهندوكية لحسم النزاع بين أتباع هذه الديانات، ولسبر اغوار الأدلة حول "الهامية" هذه الكتب.

اعتزم المؤلف أولا على اجراء المقارنة بين الكتب الأربعة، ولكنه لم يظفر بترجمة كتاب "الفيد" ترجمة تتفق عليها فرقتا (هندو، وآريه) ولذا غيّر رأيه، وأقبل على المقارنة بين التوراة والإنجيل والقرآن، فألف كتابه (تقابل ثلاثة).

وشاء الله عز وجل أن ينسد ذلك الفراغ الناشيء بعدم ادخال كتاب "الفيد" في المقارنة بأن أتاح فرصة لمناقشة كتابية جرت بين المؤلف وبين عضو متحمس من أتباع آريه سماج حول موضوع "الكتاب الالهامي". نشرت هذه المناقشة في جريدة أهلحديث، ثم جمعها المؤلف في رسالة وتم طبعها بعون الله تعالى.

وهذا الرجاء من مؤلف (تقابلِ ثلاثة) غفل عن التاريخ في طبعة دهلي، ولكنه يحمل تاريخ غرة رجب عام ١٣١٧ ھ في طبعة لاهور. (يتبع)

(د. مقتدى حسن محمد ياسين الأزهري)



التوجيه الإسلامي:

الإحسان إلى الخلق

الشيخ عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

عن أبى موسى الأشعرى، قال: قال رسول الله ﷺ على كل مسلم صدقة، قالوا: فان لم يجد؟ قال: فليعمل بيديه فينفع نفسه، ويتصدق . قالوا: فان لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فان لم يفعله؟ قال: فيأمر بالخير . قالوا: فان لم يفعل؟ قال: فيمسك عن الشر، فانه له صدقة . متفق عليه .

قوله (على كل مسلم صدقة) أى كل يوم كما فى حديث أبى هريرة الآتى والمراد على سبيل الاستحباب المتأكد ولا حق فى المال سوى الزكاة الا على سبيل الندب ومكارم الأخلاق كما قاله الجمهور ذكره القسطلانى. وقال النووى: قال العلماء المراد صدقة ندب وترغيب لا إيجاب والزام. وقال الحافظ: قوله على كل مسلم صدقة أى على سبيل الاستحباب المتأكد أو على ما هو أعم من ذلك. والعبارة صالحة للايجاب والاستحباب كقوله عليه السلام «على المسلم ست خصال» فذكر منها ما هو مستحب اتفاقا. كذا قال فى الزكاة وقال فى الأدب: قوله على كل مسلم صدقة أى فى مكارم الأخلاق، وليس ذلك بفرض اجماعا. قال ابن بطال: وأصل الصدقة ما يخرجه المرء من ماله متطوعا به، وقد يطلق على الواجب لتحرى صاحبه الصدق بفعله: ويقال لكل ما يحابى به المرء من حقه صدقة، لأنه تصدق بذلك على نفسه. (قالوا فان لم يجد) أى ما يتصدق به كأنهم فهموا من لفظ الصدقة العطية فسألوا عمن ليس عنده شيء، فبين لهم ان المراد بالصدقة ما هو أعم من ذلك ولو باغاثة الملهوف والأمر بالمعروف،وهل تلتحق هذه الصدقة بصدقة التطوع التى تحسب يوم القيامة من الفرض الذى أخل به؟ فيه نظر، الذى يظهر أنها غيرها لما تبين من حديث عائشة الآتى أنها شرعت بسبب عتق المفاصل، حيث قال فى آخر هذا

الحديث فانه يمسى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار قاله الحافظ (فليعمل) كذا فى جميع النسخ الحاضرة والذى فى البخارى فى الزكاة يعمل وفى الأدب فيعمل وفى مسلم يعتمل (بيديه) بالتثنية (فينفع نفسه) بما يكسبه من صناعة وتجارة ونحوهما بانفاقه عليها، ومن تلزمه نفقته ويستغنى بذلك عن ذل السؤال لغيره (ويتصدق) فينفع غيره ويؤجر. قال القسطلانى: وقوله فيعمل فينفع ويتصدق، بالرفع فى الثلاثة خبر بمعنى الأمر قاله ابن مالك قال ابن بطال: فيه التنبيه على العمل والتكسب ليجد المرء ما ينفق على نفسه ويتصدق، بالرفع فى الثلاثة خبر بمعنى الأمر قاله ابن مالك قال ابن بطال: فيه التنبيه على العمل والتكسب ليجد المرء ما ينفق على نفسه ويتصدق به ويغنيه عن ذل السؤال، وفيه الحث على فعل الخير مهما أمكن وأن من قصد شيئا منها فتعسر فلينتقل إلى غيره (فان لم يستطع) أى بأن عجز عن العمل (أو لم يفعل) ذلك عجزا أو كسلا والشك من الراوى (فيعين) أى بالفعل أو بالقول أو بهما (ذا الحاجة الملهوف) بالنصب صفة لذا الحاجة المنصوب على المفعولية، والملهوف عند أهل اللغة يطلق على المتحسر وعلى المضطر وعلى المظلوم. يقال لهف بكسر الهاء يلهف بفتحها لهفاً باسكانها أى حزن وتحسر، وكذلك التلهف ذكره النووى. وقال الحافظ: الملهوف، المستغيث وأعم من أن يكون مظلوما أو عاجزا . وقيل: هو المكروب المحتاج (فان لم يفعله) أى عجزا أو كسلا، وفى البخارى فان لم يفعل. أى بحذف الضمير المنصوب (فيأمر بالخير) وهو يشمل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والافادة العلمية والنصيحة العملية وفى البخارى فى الأدب فيأمر بالخير أو قال بالمعروف، وفى مسلم يأمر بالمعروف أو الخير، وهذا شك من الراوى، وللبخارى فى الزكاة فليعمل بالمعروف وزاد أبو داود الطيالسى فى مسنده وينهى عن المنكر (فيمسك عن الشر) وفى رواية فليمسك أى نفسه أو الناس (فان) أى الامساك عن الشر (له) أى للممسك (صدقة) أى على نفسه لأنه اذا امسك عن الشر لله تعالى كان له أجر على ذلك كالتصدق بالمال. وحاصل الحديث أن الشفقة على خلق الله متأكدة وهى اما بمال حاصل، وهو الشق الأول، أو بمقدور التحصيل وهو الثاني، أو بغير مال وهو إما فعل وهو الإعانة والإغاثة أو ترك، وهو الامساك عن الشر. لكن قال الزين بن المنير: إن حصول ذلك

للممسك إنما يكون مع نية القربة به بخلاف محض الترك، وقضية الحديث ترتيب الأمور الأربعة وليس مرادا، وإنما هو للتسهيل على من عجز عن واحد منها، وإلا فمن أمكنه فعل جميعها أو عدد منها معا فليفعل. ومقصود الحديث أن أعمال الخير تنزل منزل الصدقات في الأجر ولا سيما في حق من لا يقدر عليها ويفهم منه إن الصدقة في حق القادر عليها أفضل من الأعمال القاصرة. وقال ابن أبي جمرة: ترتيب هذا الحديث أنه ندب الى الصدقة وعند العجز عنها ندب الى ما يقرب منها، أو يقوم مقامها وهو العمل والانتفاع، وعند العجز عن ذلك ندب الى ما يقوم مقامه وهو الاغاثة، وعند عدم ذلك ندب الى فعل المعروف أى من سوى ما تقدم كإماطة الأذى، وعند عدم ذلك ندب الى الصلاة فان لم يطق فترك الشر وذلك آخر المراتب. قال: ومعنى «الشر» هنا ما منعه الشرع ففيه تسلية للعاجز عن فعل المندوبات اذا كان عجزه عن ذلك عن غير اختيار. قال الحافظ: وأشار بالصلاة الى ما وقع في آخر حديث أبي ذر عند مسلم ويجزى عن ذلك كله ركعتا الضحى، وهو يؤيد ما قدمناه أن هذه الصدقة لا يكمل منها ما يختل من الفرض، لأن الزكاة لا تكمل الصلاة ولا العكس. فدل على افتراق الصدقتين، واستشكل الحديث مع ما تقدم ذكر الأمر بالمعروف وهو من فروض الكفاية فكيف تجزىء عنه صلاة الضحى وهي من التطوعات، والذى يظهر في الجواب ان المراد أن صلاة الضحى تقوم مقام الثلثمائة وستين حسنة التي يستحب للمرء أن يسعى في تحصيلها كل يوم ليعتق مفاصله التي هي بعددها، لا أن المراد أن صلاة الضحى تغني عن الأمر بالمعروف وما ذكر معه، وإنما كان كذلك لأن الصلاة عمل بجميع الجسد فتتحرك المفاصل كلها فيها بالعبادة، وكأن صلاة الضحى خصت بالذكر لكونها أول تطوعات بعد الفرض وراتبته. وقد اشار في حديث أبي ذر، وكذا في حديثي أبي هريرة وعائشة الآتيين الى أن صدقة السلامي نهارية (متفق عليه) أخرجه البخارى في الزكاة وفي الأدب، ومسلم في الزكاة وأخرجه أيضا أحمد (ج٤ ص ٣٩٥، ٤١١) والنسائي في الزكاة والبيهقي فيه (ج٤ ص١٨٨) .

(مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" ٦ / ٣٢٨ – ٣٣٠)

☆☆☆

أعلام الإسلام

المحدث الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحمانى المباركفورى رحمه الله
مؤلف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
حياته وأعماله

(٢)

الشيخ أسعد أعظمى / الأستاذ بالجامعة السلفية

مولده: ولد – رحمه الله – فى شهر محرم عام ١٣٢٧ هـ الموافق ١٩٠٩ م.

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه: هو الشيخ عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين، يكنى بأبى الحسن، وينسب بالرحماني والمباركفوري، والرحمانى نسبة إلى دار الحديث الرحمانية التى درس وتخرج فيها، حيث جرت العادة فى الهند لدى خريجي المدارس الإسلامية الانتساب إلى المدرسة التى تخرجوا فيها، فالسلفى يعنى خريج الجامعة السلفية، والندوى خريج ندوة العلماء، والمدني خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وهكذا. أما "المباركفوري" فهذا نسبة إلى موطنه ومسقط رأسه بلدة مباركفور، التى تعرفنا عليها فى الحلقة السابقة.

ونظرا لتضلعه من الحديث الشريف وما يتبعه من العلوم وخدمته لهذا العلم لمدة طويلة تدريسا وتأليفا لقب بـ "شيخ الحديث" حتى غلب عليه هذا اللقب بحيث أصبح بمنزلة العَلم عليه، لأنه كان ولا يزال هذا اللقب إذا أطلق فى الأوساط العلمية السلفية خاصة تبادر الذهن إليه، وقد يختصر هذا اللقب "بالشيخ" أو "شيخ صاحب" بالأسلوب الأردي، وعامة الناس وخاصتهم يذكرونه بهذا اللقب ولا يذكرونه باسمه الا نادرا، وذلك بقصد الاحترام والتعظيم.

يجدر بالذكر أن هذا اللقب يطلق – فى شبه القارة الهندية – على العالم الفاضل الذي يتولى تدريس صحيحي البخارى ومسلم فى المدارس الهندية، يقول الشيخ عزيزالرحمن السلفي حفظه الله:

" كانت كلمة "المحدث" تطلق فى الماضي على من له اليد الطولى فى فنون الحديث، أما كلمة "شيخ الحديث" فيبدو أنها جديدة ومن إطلاقات أهل الهند، وكان الناس يذكرون الشيخ

العلامة أحمد الله المحدث البرتابكدهي بلقب "شيخ الحديث" ولما خلفه الشيخ العلامة عبيدالله الرحماني في التدريس في دار الحديث الرحمانية، وأسند إليه تدريس صحيحي البخاري ومسلم بدأ يذكر أيضا بلقب "شيخ الحديث" ثم جرى هذا اللقب – الذي لقبه به الأمة – على اللسان بحيث اشتهر به في شبه القارة الهندية – الهند وباكستان وبنغلاديش – ولا يعرفه باسمه الا القليل من الناس، ولا تنصرف هذه الكلمة خلال مدة ثلاثة أرباع القرن الماضي إلا إلى شخصيته الكريمة العالية ...... ". (١)

ويقول الشيخ حبيب الرحمن الفيضي المئوي رحمه الله:

" لقد اشتهر – أي الشيخ عبيد الله الرحماني – بلقب " شيخ الحديث " بحيث إذا أطلق هذا اللقب لدى أهل الحديث كان هو المراد، كما أن لقب " الحافظ " إذا أطلق لدى أهل الحديث في الهند أريد به الشيخ الحافظ عبد الله الغازي فوري رحمه الله، وإذا أطلق لقب "مياں صاحب" أريد به شيخ الكل في الكل السيد نذير حسين الدهلوي رحمه الله، كما أن لقب "الحافظ" إذا أطلق في الأوساط العلمية أريد به الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله ......" (٢)

نشأته ودراسته:

ذكرنا في ترجمة الشيخ عبد السلام المباركفوري – والد الشيخ الرحماني – أنه زاول عمل التدريس في مختلف المدارس الاسلامية بمئو وبتنه وغونده ودهلي، وتفيد المصادر المتعلقة بترجمة الشيخ الرحماني أن والده اصطحبه معه في زمن إقامته بهذه المدارس، ورباه أحسن تربية، وباشر عمل الاشراف عليه بنفسه.

يجدر بالذكر أن في الأسر المحافظة في شبه القارة الهندية يبدأ تعليم الأطفال في البيت لدى الأمهات والجدات، وأول ما يدرسه الأطفال هو قراءة القرآن الكريم نظرا، فالطفل – في المرحلة الأولى – يتعرف حروف الهجاء لدى هؤلاء السيدات، ثم الكلمات المفردة ثم الجمل، وهكذا حتى يتمكن من قراءة القرآن الكريم، ويستمر في قراءته اليومية حتى يكمل القراءة الى آخر القرآن مرة واحدة على الأقل، وهذه عادة حسنة وسنة جارية في معظم بيوت محافظة. ثم

(١) مجلة محدث (أردية) بنارس، عدد خاص بالشيخ الرحماني، شعبان ورمضان ١٤١٧ هـ = يناير وفبراير ١٩٩٧ م ص: ٢٧٨.

(٢) مجلة محدث، العدد الخاص، ص: ١١٠ – ١١١.

يلتحق الطفل بمدرسة دينية قريبة، ويبدأ دراسته المنتظمة فى الروضة أو الابتدائية.

ومصادر ترجمة الشيخ وإن كانت لم تصرح بهذه المراحل الأولى من دراسته – فيما اطلعنا عليه – ولكن أوضاع المنطقة والعادات الجارية فيها تفيد بأنه لابد أن يكون قد مر بهذه المرحلة كغيره من الناشئين.

وأول مدرسة نجد لها ذكرا فى حياته الدراسية هى مدرسة دار التعليم (١) ببلدة مباركفور على مقربة من بيته، يبدو أنه درس فيها بعض السنوات من المرحلة الابتدائية. (٢) لأنه كان يتذكرها – فيما بعد – ويذكر لأحفاده بعض الوقائع من أيام دراسته فى تلك المدرسة، وأن من أساتذته فى " دار التعليم " الشيخ المولوى محمد أصغر والشيخ المولوى شاه محمد، وكان يثني على هذا الأخير. (٣)

وبعد ذلك لازم والده فى حله وترحاله فى المدارس الإسلامية التالية:

١ – المدرسة العالية العربية، بمدينة مئونات بنجن، تبعد هذه المدينة من مباركفور بنحو ٣٥ كيلو متر فى جهة الشرق، تعرف هذه المدينة بمدارسها الإسلامية الشامخة، وبرجال العلم الذين خدموا العلوم الإسلامية والأدبية وخلفوا آثارا قيمة.

والمدرسة العالية أقدم مدرسة فى المنطقة إذ أسست عام ١٢٨٥ ه = ١٨٦٨ م، وقد قام الشيخ عبد السلام المباركفورى والد الشيخ الرحماني مدرسا فى هذه المدرسة لمدة ثلاث سنوات، ويظهر من مقارنة فترات تدريسه فى المدارس المختلفة أن فترة تدريسه فى المدرسة العالية هي ما بين عام ١٣٣٣ – ١٣٣٦ ه = ١٩١٤ – ١٩١٧ م.

وكان الشيخ عبد السلام يسكن فى فترة تدريسه بالمدرسة المذكورة فى بيت الشيخ العلامة محمد نعمان (٤) فى حي دومن فوره حبه، والشيخ الرحماني كان يدرس فى المدرسة،

(١) شارك فى تأسيس هذه المدرسة كل من العلامة محمد عبد الرحمن المباركفوري والشيخ عبدالسلام المباركفورى رحمهما الله عام ١٩١٢ م. (انظر: جماعت اهل حديث كى تدريسى خدمات، ص: ٦٤)

(٢) مجلة محدث، العدد الخاص، ص: ٢٦٨ – ٢٦٩.

(٣) انظر: مجلة محدث بنارس، العدد الخاص، ص: ٢٦٨.

(٤) الشيخ محمد نعمان بن الحاج عبد الرحمن المئوى الأعظمى (١٢٩٧ – ١٣٧١ه) هو جد الدكتور مقتدى حسن الأزهري من جهة الأم، وجد الدكتور عبد العلى الأزهرى من جهة الأم أيضا، وجد والدة كاتب هذه السطور من جهة الأم أيضا، إذ الوالدة – حفظها الله – شقيقة الدكتور مقتدى الأزهرى حفظه الله، والشيخ نعمان تلميذ المحدث=

ويلعب مع أطفال أسرة الشيخ نعمان وأطفال الحي الآخرين، وكان عمره إذ ذاك نحو ٨ سنوات. فتعلم هناك اللغة الأردية والفارسية، ويبدو أنه أكمل هناك مرحلة الابتدائية.

وفى الرد على إحدى رسائل والدي الشيخ محمد الأعظمي – حفظه الله – يقول الشيخ رحمه الله:

" لما كان الوالد رحمه الله مدرسا فى المدرسة العالية بمئو لم يكن عمري بحيث أتذكر الطلبة المقيمين وغير المقيمين الدارسين فى القسم العربى (الدراسات الاسلامية) من المدرسة، فلو كان من سكان حي جمال فوره ودومن فوره وكذلك المقيمين بجوار المدرسة من يقارب عمره عمري فليوجه السؤال إليه لعله يجيب عليه ويفيد أن والدكم درس على والدي فى المدرسة العالية أم لا؟ أما أنا فإني لا أتذكر شيئا فى هذا الصدد". (١)

٢ – مدرسة سراج العلوم بقرية بوندهيار وهذه القرية تابعة – الآن – لمديرية بلرام فور، بولاية اترابراديش، وقد قام بتأسيسها العلامة محمد عبد الرحمن المباركفورى عام ١٩٠٧ م، ودرّس فيها لفترة، ويقال إنه بدأ بتأليف تحفة الأحوذي فى هذه المدرسة، ولا زالت هذه المدرسة تخدم العلوم الدينية والدعوة الإسلامية ولله الحمد. (٢)

باشر الشيخ عبد السلام العمل فى هذه المدرسة فى عام ١٣٣٦ هـ = ١٩١٧ م، واستمر إلى عام ١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م ولازمه ابنه طوال هذه الفترة، وقد درس الشيخ الرحمانى على والده الشيخ عبد السلام فى هذه المدرسة كتب النحو والصرف والأدب والفقه والمنطق والهندسة، مثل الكافية لابن حاجب وشرحها لملا جامي في النحو، وشرح الوقاية في الفقه، ومشكاة المصابيح فى الحديث، والسراجية فى علم الفرائض، وشرح التهذيب وشرح الشمسيه المعروف بالقطبى فى المنطق، وديوان المتنبى فى الأدب العربى، وأقليدس فى الهندسة. (٣)

=السيد نذير حسين الدهلوي، تصدر لتدريس الحديث بجامعة دار السلام بعمر آباد فى ولاية تامل نادو فى جنوب الهند، وتخرج عليه علماء كبار، وله أولاد وأحفاد خدموا ولا يزالون يخدمون الدين والعلم. (انظر: جهود مخلصة، ص: ١٥٤، و ٢٦٦)

(١) نقوش رحمانى (مجموعة رسائل الشيخ الموجهة إلى الشيخ الوالد محمد الأعظمى ص ٧١ – ٧٢ ، تاريخ الرسالة ٧/٥/١٤١١ هـ.

(٢) انظر: جماعت اهل حديث كى تدريسى خدمات ص: ٤٧.

(٣) مقدمة مرعاة المفاتيح: ١ / ٩.

ومن البديهي أن يكون الشيخ الرحماني قد درس على غير والده من مدرسى مدرسة سراج العلوم خلال السنوات الخمس التى أمضاها مع والده هناك، ولكن مصادر ترجمته لم تذكر تفاصيل ذلك فيما عثرنا عليه.

٣ – مدرسة دار الحديث الرحمانية بدهلى عاصمة الهند

قام بإنشاء هذه المدرسة وتحمل جل مصاريفها الأخوان الشيخ عبد الرحمن والشيخ عطاء الرحمن، وهما من أسرة متمولة تنتمى الى جماعة أهل الحديث، تم إنشاء المدرسة فى دهلى عام ١٣٣٩ هـ = ١٩٢١ م وخدمت هذه المدرسة بفضل إخلاص القائمين عليها وجهود مدرسيها الأكفاء خدمة منقطعة النظير، وعلى الأسف توقفت المدرسة فى خضم الاشتباكات الدموية التى وقعت فى دهلي وغيرها من المدن الهندية إثر استقلال الهند وانقسامها إلى دولتين: الهند وباكستان، عام ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧م. (١)

فى آخر حياته التدريسية حط الشيخ عبد السلام المباركفوري رحله فى هذه المدرسة المباركة، وذلك عام ١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م، وصاحبه ابنه الشيخ الرحماني، وواصل دراسته على والده وعلى الأساتذة المشهورين الذين كانوا يدرسون هناك.

مدة الدراسة فى المدرسة الرحمانية كانت ثماني سنوات، حيث يتخرج الطالب بعد إكماله السنة الثامنة ويتسلم الشهادة ويكون بذلك أهلا للتدريس والأعمال العلمية الأخرى.

وصل الشيخ إلى هذه المدرسة مع والده فى عام ١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م وتخرج عام ١٣٤٥هـ = ١٩٢٧ م وهذا يعنى أنه كان قد التحق بالمدرسة فى الصف الرابع وأكمل الصف الثامن وتخرج بعد خمس سنوات. وفى السنة الثانية من دراسته فى الرحمانية حدث حادث والده.

يقول الشيخ الرحماني:

" ... حتى انتقل – أي الوالد – إلى الدار الآخرة، وهو يؤدي واجبه في دار الحديث الرحمانية بدهلى سنة ١٣٤٢ هـ.

كان كاتب هذه الأسطر طالبا فى السنة الخامسة فى دار الحديث الرحمانية ... " (٢)

☆☆

(يتبع)

(١) راجع: جهود مخلصة، ص: ٢٥٤ – ٢٦٣، وجماعت اهل حديث كى تدريسى خدمات، ص: ٢٠ – ٢١. وكاتب هذه السطور ينوي إخراج كتاب مشتمل على تاريخ مفصل لهذه المدرسة، والله الموفق

(٢) مقدمة سيرة الإمام البخاري، ص: ٢٣.

التوجيه الإجتماعي

خوارم المروءة

راشد بن عبد الرحمن البداح

إن "المروءة" كلمة لها مدلولها الكبير الواسع، فهي تدخل في الأخلاق والعادات، بل في الأحكام والعبادات.

ويُقصد بها كمال الرجولة خلُقا ودينا، مع مراعاة العادات والأعراف التي لا تُعارِض الشرع.

ومن أحسن ما عُرّفت به قولهم: "المروءة كمال النفس بصَونها عما يوجب ذمها عرفا، ولو مباحا في ظاهر الحال".

ولقد أُثرت كلمات عن أهل أفضل القرون تدل على عظم اعتنائهم واحتفائهم بالمروءة، فمنها:

١ – قول عمر – رضي الله عنه – : "من مروءة الرجل نقاء ثوبه، والمروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة".

٢ – قول ابن عباس – رضي الله عنهما: "لا تمازح السفهاء فتسقط كرامتك، ولا اللئام فتذهب مروءتك".

٣ – قول ابن عمر – رضي الله عنهما: "نحن معشر قريش نعد العفاف وإصلاح المال من المروءة".

٤ – قول عمر بن عثمان المكي – رحمه الله –: "المروءة التغافل عن زلل الإخوان".

وهذه المروءة مع ما لها من هذا الشرف الرضيّ والمكان العليّ، فإن خلائق كثيرين لم يرعوها حق رعايتها، فقدحوا في جمالها وخرموا جلالها ونقصوا كمالها.

وسبب هذه الخوارم والقوادح في المروءة:

١ / إما خبل في العقل .

٢ / أو نقصان في الدين.

٣ / أو قلة حياء وخلق .

وفيما يلي سأذكر نماذج من خوارم المروءة التي يقع فيها من قلّ عقله أو دينه أو خلقه، لكن قبل أن أفيض في ذكرها أحب أن أشير إلى أن من الخوارم ما هو محرم، ومنها ما هو مكروه، ومنها ما هو مناف للأدب والحشمة وإن لم يكن مخالفا للشرع، والقاريء الفطن – حسب معرفته – يصنف ما سيأتي على هذا النمط، فإما حرام، أو مكروه، أو لا يليق وإن لم يكن حراما، وهذا الأخير بابه واسع لا يتقيد بقيد، وهو بحسب تقوى الرجل، ولذا قال ابن القيم – رحمه الله –: "إن من سعد إلى درجة الورع يترك كثيرا مما لا بأس به من المباح، اتقاء على صيانته وخوفا عليها أن يتكدر صفوه، ويطفأ نوره" وقال: "قال لي يوما شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – في شيء من المباح: هذا ينافي المراتب العالية، وإن لم يكن تركه شرطا في النجاة".

والآن حان الشروع في ذكر بعض خوارم المروءة التي بُلي بها بعض الناس، وإن لم يشعروا بها من أهل الصلاح والأدب، أهل الزمان، فمنها:

١ / الأكل في الطريق أو الأسواق والناس ينظرون إليه:

وقد عدّه الفقهاء من الخوارم إذا كان بمرأى الناس، أما إذا أكل في السوق وهو خال من الناس أو كان مستترا فليس بمُخِلّ .

ومن الطرائف في هذا: أن الأصمعي الإمام في اللغة: كان ينكر من يقول "زوجة" للمرأة، ويقول: "زوج"، لقوله تعالى: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ فقيل له: إنها وردت في شعر ذي الرمّة حينما قال:

أ ذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة   أراك لها في البصرة اليوم

في البصرة ثاويا

فقال: ليس ذو الرمة بحجة، إذ طالما أكل البقل والملح في حوانيت البقالين !!

٢ / جعْل النفس مَسخرة، بحيث يُضحك في كلامه أو لباسه:

ويدخل فيه تقليد الناس أفعالهم وأصواتهم، قال شيخ الإسلام: "وتحرم محاكاة الناس للضحك، ويعزّر هو ومن يأمره، لأنه أذى".

كما أن فيه استخفافا بالناس وازدراء لهم لا يخلو من العجب والكبر والاحتقار المنهي عنه ! وقد قال الرسول ﷺ: "بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم"، وهذا بخلاف الضحك والتبسم المعتاد أو إدخال السرور على أخيك المسلم، فإنه سنة وصدقة، كما قال ﷺ: "وتبسمك في وجه أخيك صدقة" وقال ابن مسعود – رضي الله عنه –: "لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بَدَت نواجذه" رواه مسلم.

قال النووي في شرح هذا الحديث (٣/٤٠): "وفي هذا جواز الضحك، وأنه ليس بمكروه في بعض المواطن، ولا يُسقِط المروءة إذا لم يجاوز به الحد المعتاد من أمثاله في مثل تلك الحال".

أما القهقهة: وهي الضحك بملء فيه مع الصوت البيّن، فإنها بلا شك من خوارم المروءة.

٣ / الادهان عند العطار دون أن ينوي الشراء:

ومثله تذوق الأطعمة أو الفواكه والخضراوات عند الباعة، وفي نيته ألا يريد الشراء.

٤ / التجشؤ بصوت مزعج ما وجد إلى خلافه سبيلا:

ولما تجشأ رجل عند النبي ﷺ قال له: كفّ عنا جشاءك، فإن أكثرهم شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة"، ويزيد الأمر سوءا إذا كان في داخل الصلاة.

٥ / البول على قارعة الطريق المسلوكة، وفي الأماكن العامة:

وهذا إلى جانب دناءته فهو مؤدّ إلى كشف العورات، وإيذاء المشاة بأرجلهم وأنوفهم.

وهذه الخارمة السيئة يفعلها أهل البادية ممن لا خلاق لهم.

٦ / التصريح بأقوال لم ينطق الشرع بها إلا بالكناية بلا حاجة:

وهذا فيما يستحيا من ذكره، فقد سمى الله في القرآن جماع الرجل زوجته بالمساس والملامسة والإتيان والمباشرة، وسمى ما يخرج من الدبر بالغائط.

أما عند الحاجة كالقاضي فله التصريح، ويدل على حديث رجم ماعز الأسلمي – رضي الله عنه – لما زنى.

وأما ما عدا ذلك مما لا حاجة له أو مع غير الزوجة فهو من خوارم المروءات.

ومن جميل ما أُثر عن الأحنف بن قيس: "جنّبوا مجالسنا ذِكر النساء والطعام، إني أبغض الرجل يكون وصّافا لفرجه وبطنه".

٧ / تكتيف اليدين على الدُبُر:

وهذا يفعله كثير من الأجانب على وجه أخص، قال الشيخ حمود التويجري – رحمه الله تعالى – في كتابه (الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين): "وهذا الفعل السخيف من أفعال الإفرنج، وأضرابهم من أعداء الله تعالى .." ثم قال "إنه فعل مستقبح عند ذوي المروءات والشِّيم، وكيف لا يكون ذلك قبيحا بالرجل أن يضع يديه على دبره، ثم يمشي بين الناس وهو على هذا الوضع المستهجن المزري بالصبيان الصغار، فضلا عن الرجال الكبار .." !

قلت: ومثله وقريب منه في القبح، إن لم يكن أشد: وضع الدين على القُبُل، أو العبث به، فإن كان أمام الناس فأَطَمّ !!

٨ / الرطانة بالأعجمية بلا حاجة:

قال عمر – رضي الله عنه –: "ما تكلم الرجل الفارسية إلا خبّ، ولا خبّ إلا نقصت مروءته".

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: "وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية – التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن – حتى يصير ذلك عادة للمرء وأهله أو لأهل الدار، وللرجل مع صاحبه، فلا ريب أن هذا مكروه، فإنه من التشبه بالأعاجم".

٩ / الشرب من سقاية أهل البيت بلا ضيافة، أو السوق بلا غلبة جوع وعطش:

ولذا قال الشافعي: "والله لو أعلم أن الماء البارد يثلم مروءتي ما شربته الا حارا" وفي رواية قال: "ما شربته، ولو كنت اليوم ممن يقول الشعر لرثَيت المروءة".

١٠ / كثرة الالتفات في الطريق:

ويدخل فيه سرعة المشي، فلقد قيل إنها تُذهِب بهاء المؤمن !

ويدخل ضمن هذا: ما يسمى بـ "حب الاستطلاع"! وهذا تجده ظاهرا عند وقوع حريق أو حادث أو تنازع بين اثنين.

١١ / المشي أمام الناس مكشوف الرأس:

ومنه كشف ما جرت العادة بتغطيته من بدنه كصدره وظهره وبطنه وركبته، ومثله لبس ما يسمى بالبنطال أو اللباس الرياضي، والمصيبة: الصلاة فيه مع أنه يحجّم العورة.

واعلم أن للباس والحشمة أثرا كبيرا في احترام الناس لك، وخصوصا في مكان لا تُعرف فيه.

ولذا لم ينقل أنه ﷺ مشى أو صلى أو خطب حاسرا رأسه، ولأجل ذلك، جرى كلام لبعض الفقهاء في كراهة كشف الرأس أثناء الصلاة.

وبغَضّ النظر عن صحة هذا القول من عدمها، فيكفي أنه من العادات التي جرى عليها كثير من المجتمعات المحافظة، وتعارفوا على استحسانه.

علما أن هذه المسألة – أيضا – خاضعة للعرف، فتجد مجتمعات تعارفت على كشف الرأس، فحينئذ لا يُعاب ذلك عندهم ولا فعله بينهم.

١٢ / اللعب بالحَمام:

قالوا: لأن الغالب فيه الاجتماع مع الأراذل، وهو فعل يستخف به ويتضمن أذى للجيران، حتى لقد قال ابن قدامة بعدم قبول شهادة اللاعب بالحمام يطيّره.

وقد رأى النبى ﷺ رجلا يتبع حمامة فقال: "شيطان يتبع شيطانة" رواه أبوداود وغيره بسند حسن.

والمصيبة أن بعض الفساق استغلّها فيتصيُّد المُردان والصبيان لمراودتهم عن أنفسهم!

١٣ / مَد الرجلين في مجمع الناس من غير حاجة ولا عذر:

حتى إنه ليقع ممن أوتي صحة وشبابا ! ويفعله بحضرة من هو أكبر منه عمرا أو علما !

ويزداد ذلك قبحا إذا مدّهما أمام المصاحف كما يفعله الجهال في المساجد ولاسيما يوم الجمعة، مع أن باستطاعته أن ينحّي رجله أو المصاحف !

١٤ / نتف اللحية والإبط، أو الأنف عند الناس:

فالأول قد يكون محرما مع ما فيه من السخف والعبث، أما الآخر ففيه دناءة لا تخفى، وتقزّز من الناس ظاهر.

١٥ / النوم بعد الفجر:

ولقد قال ابن عباس – رضي الله عنهما – لابنه لما رآه نائما نومة الصبح: قم، أتنام في الساعة التي تقسم فيها الأرزاق ؟!

ونومة الصبحة إنما كانت تمنع الرزق، وتحرم البركة،لأن الأرزاق والبركات تكون في أول النهار، كما قال الرسول ﷺ: "اللهم بارك لأمتي في بكورها" رواه أحمد وأهل السنن.

ولما سئل أحدهم عن المروءة، ذكر منها: لزوم المسجد إلى أن تطلع الشمس.

ولو لم يكن من فوائد هذه الخصلة إلا البقاء في المسجد لكان كافيا.

ومن أضرار النوم بعد الفجر: أن وقتك لا ينتظم عليك باقي النهار، ولذا قال أبوالدرداء –رضي الله عنه – : "يومك مثل جملك، إذا قُدُتَ أوله انقاد لك باقيه".

وهذه النقيصة قد عمت الصالح والطالح بسبب السهر، حتى الدعاة والصالحين، والله المستعان.

(مع الشكر لمجلة الفرقان الكويتية)

☆☆☆

سمو الإسلام

الإمام العادل
عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الدكتور سيد بن حسين العفاني

بذكر عمر وعدله تطيب المجالس:

لله در عمر بن الخطاب من إمام " ناصح الله فنصحه الله تعالى" (١) كما قال علي بن أبي طالب، لقد كانت مواقف عدله مترعة بإجلال منقطع النظير .. في كل موقف عظائم تتفوق على نفسها، ويزحم بعضها بعضا .. إمام يحمل مسئولياته على نمط فذّ، ويعطي البشر جميعا إلى آخر لحظة في الأبد، درسا في الأمانة، أي درس، وقدوة في الذمة والقسطاس – أي قدوة ...... !!

موقفه من نفسه ...... موقفه من أهله ...... موقفه من الضعيف ومن القوي في قومه وأمته ...... موقفه من ولاته ...... موقفه من أموال الأمة .

لله در إمام منفعل بمسئوليته، ويتبتّل لها، ويقبل عليها في مثل عزم المرسلين ...... إن بين جوانحه، وملء نفسه تفانيا رهبانيا، لا يسأل عن العواقب ولا يُجري بين يديها أي تقدير أو حساب ...... !!

عن عامر الشعبي قال: " قال عمر رضوان الله عليه : والله قد لان قلبي حتى هو ألين من الزبد، ولقد اشتد قلبي حتى هو أشد من الحجر".

وكان رضوان الله عليه، إذا أتاه الخصمان برك على ركبته وقال: "اللهم أعني عليهما، فإن كل واحد منهما يردني عن ديني". (٢)

---

(١) "تاريخ دمشق" لابن عساكر – ترجمة عمر بن الخطاب (ص ٣١٠)، تحقيق سكينة الشهابي – مؤسسة الرسالة.

(٢) "مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" لابن الجوزي، تحقيق دكتوره زينب القاروط (ص ٩٤)، دار الكتب العلمية.

وكان من خطبته – رضي الله عنه –: " ألا وإني والله ما أرسل عمّالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فُعل به سوى ذلك فليرفعه إليّ فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه". فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين أفرأيت إن كان رجل من المسلمين على يرعية فأدّب بعض رعيته، إنك لتقصنه منه ؟ قال: "إي والذي نفس عمر بيده إذا لأقصنه منه، ألا أقص منه وقد رأيت رسول الله ﷺ، يقص من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم حقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيّعوهم". (١)

● عن عبد الرحمن بن غنم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: ويل لديّان الأرض من ديّان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل، فقضى بالحق، ولم يقض على هوى، ولا على قرابة، ولا على رغبة ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه". (٢)

عمر وأبو موسى الأشعري:

عن جرير بن عبد الله البجلي، أن رجلا كان مع أبي موسى الأشعري وكان ذا صوت ونكاية في العدو، فغنموا مغنما فأعطاه أبو موسى بعض سهمه، فأبى أن يقبله إلا جميعا، فجلده أبو موسى عشرين صوتا وحلقه، فجمع الرجل شعره، ثم ترحل إلى عمر بن الخطاب، حتى قدم عليه، فدخل على عمر بن الخطاب، قال جرير: وأنا أقرب من عمر بن الخطاب، ثم قال: أما والله لولا النار، فقال عمر: صدق والله لولا النار، فقال: يا أمير المؤمنين إنى كنت ذاصوت ونكاية، فأخبره أمره، قال: ضربني أبو موسى عشرين سوطا، وحلق رأسي وهو يرى أنه لا يُقتص منه، فقال عمر – رضوان الله عليه – : لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا، أحب إلي من جميع ما أفاء الله علينا، فكتب عمر إلى أبي موسى: سلام عليك أما بعد، فإن فلانا أخبرني بكذا وكذا، فإن كنت فعلت ذلك في ملأ من الناس فعزمت عليك لما قعدت

(١) "مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" لابن الجوزي (ص ٩٤–٩٥).

(٢) إسناده صحيح: رواه سمويه في "فوائده" (٣٨)، وأخرجه الدارمي مختصرا (ص ١٠٤) قال الألباني في "مختصر العلو" (ص ١٠٣): وإسنادهما صحيح.

له في ملأ من الناس، حتى يقتص منك، وإن كنت فعلت ذلك في خلاء من الناس، فاقعد له في خلاء من الناس حتى يقتص منك، فقدم الرجل فقال له الناس: اعف عنه فقال: لا والله لا أدعه لأحد من الناس، فلما قعد أبو موسى ليقتص منه، رفع الرجل رأسه إلى السماء، ثم قال: اللهم إني قد عفوت عنه. (١)

الفاروق وعمرو بن العاص:

عن عمر بن شيبة قال: قال عمرو بن العاص لرجل من تجيب (٢): " يا منافق"، فقال التجيبي: يا أمير المؤمنين ! إن عمرا نفّقني، ولا والله ما نافقت منذ أسلمت، فكتب عمر – رضوان الله عليه – إلى عمرو، وكان إذا غضب كتب: إلى العاصي بن العاصي: أما بعد، فإن فلانا التجيبي ذكر أنك نفقته، وقد أمرته إن أقام عليك شاهدين، أن يضربك أربعين أو قال سبعين، فقام فقال: أنشد الله رجلا سمع عمرا نفّقني إلا قام فشهد، فقام عامة من في المسجد، فقال له حنتمة: "أتريد أن تضرب الأمير؟" وعرض عليه الأرش (٣)، فقال: لو ملأت لي هذه الكنيسة ما قبلت، فقال له حنتمة: أتريد أن تضربه؟ قال: "ما أرى لعمر ههنا طاعة، فلما ولّى قال عمرو: ردوه، فأمكنه من السوط، وجلس بين يديه، فقال: "أتقدر أن تمتنع عني بسلطانك؟ قال: لا، فامض لما أُمرتَ به، قال: فإني قد عفوت عنك". (٤)

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهم أحرارا ؟!:

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: "كنا عند عمر بن الخطاب – رضوان الله عليه – إذ جاء ه رجل من أهل مصر فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك، قال: ومالك؟ قال: أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل، فأقبلت فرسي فلما رآها الناس، قام محمد بن عمرو فقال: فرسي ورب الكعبة، فلما دنا مني عرفته، فقلت: فرسي ورب الكعبة، فقام إلي يضربني بالسوط ويقول: خذها وأنا ابن الأكرمين. قال: فوالله ما زاده عمر على أن قال له:

(١) المصدر السابق (ص ٩٥). [مناقب أمير المؤمنين].

(٢) قال في "القاموس": تُجيب بالضم وفتح بطن من كندة.

(٣) دية الجرح.

(٤) "مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" (ص ٩٥–٩٦).

اجلس، ثم كتب إلى عمرو: إذا جاء ك كتابي هذا فأقبل ومعك ابنك محمد، قال: فدعا عمرو ابنه فقال: أأحدثت حدثا؟ أجنيت جناية؟ قال: لا، قال: فما بال عمر يكتب فيك؟ قال: فقدم على عمر، قال أنس: فوالله أنا عند عمر، إذا نحن بعمرو قد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه فإذا هو خلف أبيه، فقال: أين المصري؟ فقال: هذا أنذا، قال: دونك الدرة فاضرب ابن الأكرمين، اضرب ابن الأكرمين، قال: فضربه حتى أثخنه، ثم قال أجِلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، فقال: يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني قال: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه، حتى تكون أنت الذي تدعه، أيا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهم أحرارا !، ثم التفت إلى المصري فقال: انصرف راشدا فإن رابك ريب فاكتب إلي ". (١)

عمر وأبو سفيان:

عن عبد الرحمن بن حاطب، عن أبيه قال: قدمنا مكة مع عمر – رضوان الله عليه – فأقبل أهل مكة يسعون: يا أمير المؤمنين، أبو سفيان حبس مسيل الماء علينا ليهدم منازلنا، فأقبل عمر ومعه الدرة، فإذا أبوسفيان قد نصب أحجارا فقال له: ارفع هذا، فرفعه، ثم قال: وهذا وهذا، حتى رفع أحجارا كثيرة خمسة أو ستة، ثم استقبل عمر الكعبة فقال: "الحمد لله الذى جعل عمر يأمر أبا سفيان ببطن مكة فيطيعه". (٢)، وفي رواية "الحمد لله الذى أذل أباسفيان بأبطح مكة". (٣)

إنى خائف أن أُسأَل عنك:

" عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب – رضوان الله عليه – كان يدخل يده في دبر البعير ويقول: إني خائف أن أُسأَل عنك.

وعن المسيب بن دارم قال: رأيت عمر بن الخطاب – رضوان الله عليه – يضرب رجلا ويقول: حمّلت جملك ما لا يطيق ". (٤)

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر" (ص ٩٨–٩٩). (٢) المصدر السابق (ص٩٧).
(٣) المصدر السابق (ص ٩٧). (٤) المصدر السابق (ص ٩٧).

ماذا تقول لربك غدا إذا أتيته ؟

عن الأحنف بن قيس قال: وفدنا إلى عمر – رضوان الله عليه – بفتح عظيم، فقال أين نزلتم ؟ فقال: في مكان كذا، فقام معنا حتى انتهينا إلى مناخ رواحلنا، فجعل يتخللها ببصره ويقول: ألا اتقيتم الله في ركابكم هذه ؟ أما علمتم أن لها عليكم حقا ؟ ألا خلّيتم عنها؟.

فقلنا: أحببنا التسرع إلى أمير المؤمنين وإلى المسلمين بما يسرهم، ثم انصرف راجعا ونحن معه، فلقيه رجل فقال: يا أمير المؤمنين انطلق معي فأعدني على فلان فإنه ظلمني، قال: فرفع الدرة فخفق بها رأسه وقال: تدعون عمر وهو معرض لكم، حتى إذا اشتغل بأمر من أمور المسلمين أتيتموه أعدني أعدني ؟! فانصرف الرجل وهو يتذمّر، فقال عمر: عليّ بالرجل فألقى المخفقة إليه فقال: امسك واضربني، قال: لا ولكن أدعها لله ولك، قال: ليس كذلك، إما تدعها لله وإرادة ما عنده، أو تدعها لي فأعلم ذلك قال: أدعها لله، قال: انصرف، ثم جاء يمشي حتى دخل منزله، ونحن معه فافتتح الصلاة فصلى ركعتين، ثم جلس فقال: يا ابن الخطاب، كنت وضيعا فرفعك الله، وكنت ضالا فهداك الله، وكنت ذليلا فأعزك الله، ثم حملك على رقاب المسلمين، فجاء ك رجل يستعديك فضربته، ما تقول لربك غدا إذا أتيته ؟ فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننت أنه من خير أهل الأرض .

والله ما نسيتها:

وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: مرّ عمر بن الخطاب – رضوان الله عليه – وأنا في السوق وهو مارّ في حاجة له، ومعه الدرة قال: هكذا أمِط عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خفقني بها خفقة، فما أصاب إلا طرف ثوبي، فأمطت عن الطريق، فسكت عني، حتى كان في العام المقبل، فلقيني في السوق فقال: يا سلمة أردت الحج العام ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدي، فما فارقت يدي حتى دخل بي بيته، فأخرج كيسا فيه ستمائة درهم فقال: يا سلمة استعن بهذه، واعلم أنها من الخفقة التي خفقتك عام أول، قلت: والله يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها ! قال: وأنا والله ما نسيتها بعد.

فعله في بيت المال وعدله في القسمة:

عن مالك بن أوس قال: كان عمر – رضوان الله عليه – يحلف على أيمان ثلاث يقول: "والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد، وما أنا أحق به من أحد، ووالله ما من المسلمين من أحد إلا وله في هذا المال نصيب إلا عبدا مملوكا، ولكنا على منازلنا من كتاب الله تعالى، وقسمنا من رسول الله ﷺ، فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته، والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه".(١)

وكان – رحمه الله – يستنفق كل يوم درهمين له ولعياله، وأنفق في حجته ثمانين ومائة درهم.

وكان – رحمه الله – يقول: أنا أخبركم بما أستحل منه: حلتنا، حلة في الشتاء وحلة في الصيف، وما أحج عليه وأعتمر من الظهر، وقوت أهلي كقوت رجل من قريش، ليس بأغناهم ولا أفقرهم.

وعن قتادة قال: كان معيقيب على بيت مال عمر، فكسح بيت المال يوما فوجد فيه درهما، فدفعه إلى ابن لعمر، قال معيقيب: ثم انصرفت إلى بيتي، فإذا رسول عمر، قد جاء يدعوني، فجئت فإذا الدرهم في يده، فقال: "ويحك يا معيقيب: أوجدت علي في نفسك سببا؟ أو مالي ولك؟ فقلت: ما ذاك؟ قال: أردت أن تخاصمني أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة". (٢)

يقول هذا الإمام الجهبذ العادل: "كيف يعنيني شأن الناس، إذا لم يصبني ما يصيبهم"!! ويدمن – رضي الله عنه – أكل الزيت في عام الرمادة حتى تئن أمعاؤه وتقرقر، فيضع كفه على بطنه، ويقول: "أيها البطن لتُمَرننَّ على الزيت، ما دام السمن يُباع بالأواقي " !!.

وفي عام الرمادة أمر يوما بنحر جزور، وتوزيع لحمه على أهل المدينة، وعند الغداء، وجد عمر أمامه سنام الجزور وكبده، وهما أطيب ما فيه ..! فقال: من أين هذا ؟ قيل: من

(١) "طبقات ابن سعد" (٣/٢٩٩).

(٢) "مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" (ص ٦–١٠).

الجزور الذي ذُبح اليوم، قال: "بخ بخ" بئس الوالي أنا أن طعمت طيبها، وتركت للناس كراديسها"، يعني عظامها، ثم نادى خادمه أسلم، وقال له: يا أسلم، ارفع هذه الجفنة وائتني بخبز وزيت.

لله درك من إمام وعاهل منقطع النظير، وصاحب العدل في ذراه العالية التي تتقطع الأنفاس دون بلوغها.

أكُلّ المسلمين يأكل هذا؟

وذات يوم يتلقى الفاروق هدية من الحلوى، ولا تكاد توضع بين يديه حتى يسأل الرسول الذي جاء يحملها: ما هذا؟

قال: حلوى يصنعها أهل أذربيجان، وقد أرسلني بها إليك عتبة بن فرقد – وكان واليا على أذربيجان – فذاقها عمر، فوجد لها مذاقا شهيا، فعاد يسأل الرسول: أكل المسلمين هناك يطعمون هذا؟

قال الرجل: لا ...... وإنما هو طعام الخاصة.

فقال عمر للرجل: أين بعيرك ؟ خذ جملك هذا، وارجع به لعتبة، وقل له: عمر يقول لك، اتق الله، وأشبع المسلمين مما تشبع منه .. !

ملاحظته لعماله ووصيته لهم بالعدل:

قال – رضي الله عنه –: "لئن سلّمني الله لأدعن أرامل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدا"، فما أتت عليه رابعة حتى أصيب. (١)

وقال – رضي الله عنه –: "لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع عني، أما هم فلا يصلون إلي، وأما عمالهم فلا يرفعونها إليّ، فأسير إلى الشام، فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر، فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير الى البصرة فأقيم بها شهرين". (٢)

(١) "مناقب أمير المؤمنين" (ص ١١٤). (٢) المصدر السابق (ص ١٤١).

فمن يجاري أبا حفص وسيرته أو مَن يحاول للفاروق تشبيها

وعن ابن المسيب – رحمه الله – عن عمر – رضي الله عنه – : أيما عامل لي ظلم أحداً، وبلغتني مظلمته، ولم أغيرها فأنا ظلمته. (١)

وعن عمار بن خزيمة بن ثابت – رحمه الله – قال: كان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –، إذا استعمل عاملا وكتب عليه كتابا، وأشهد عليه رهطا من الأنصار، أن لا يركب برذونا، ولا يأكل نقيا، ولا يلبس رقيقا، ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين، ثم يقول: اللهم اشهد (٢).

وكان – رضي الله عنه – قد استعمل على مصر عاملا فترك ما أمره به عمر، فأرسل إليه رجلين فقال: "سلا عنه، فإن كان كذب عليّ فأعلماني، وإن كان صدق، فلا تملكاه من أمره شيئا حتى تأتياني به، فسألا عنه، فوجداه قد صدقا عليه، فاستأذنا ببابه فقال: إنه ليس عليه إذن فقالا: ليخرجن إلينا أو لنحرقن بابه، وجاء أحدهما بشعلة من نار، فلما رأى ذلك آذنه فأخبره، فخرج إليهما، وقالا: إنا رسولا عمر لتأتيه، قال: إن لي حاجة بتزود، قالا: ما أنت بالذي تأتي أهلك، فاحتملاه فأتيا به عمر – رضوان الله عليه – فسلم عليه، فقال: استعملتك وشرطت عليك شروطا فتركت ما أمرتك به، وانتهكت ما نهيتك عنه، أما والله لأعاقبنك عقوبة أبلغ إليك فيها، ايتوني بدرّاعة من كساء، وعصا، وثلاثة مائة شاة من شاء الصدقة.

قال: البس هذه الدراعة، وقد رأيت أباه، وهذه خير من دراعته، وهذه خير من عصاه، اذهب بهذه الشاء، فارعها في مكان كذا وكذا وذلك في يوم صائف، ولا تمنع السائل من ألبانها شيئا، واعلم أنا آل عمر لم نُصب من شاء الصدقة ومن ألبانها ولحومها شيئا، فلما أمعن، رده، قال: أفهمت ما قلته لك؟ وردد عليه الكلام ثلاثا، فلما كان في الثالثة، ضرب بنفسه الأرض بين يديه، وقال: ما أستطيع ذلك، فإن شئت فاضرب عنقي، قال: فإن رددتك فأي رجل تكون؟ قال: لا ترى إلا ما تحب فرده فكان خير عامل". (٣)

(١) المصدر السابق (ص ١١٦). (٢) المصدر السابق (ص ١١٤).

(٣) المصدر السابق (ص ١١٩ – ١٢٠).

لله در عمر ورجال عمر:

لما استعمل عمر بن الخطاب سعيد بن عامر على رأس جيش مددا لجبهة الشام قال له: يا سعيد بن عامر، إني قد وليتك على هذا الجيش ولست بخير من رجل منهم إلا أن تكون أتقى لله منه، فلا تشتم أعراضهم ولا تضرب أبشارهم، ولا تحقر ضعيفهم، ولا تؤثر قويهم، وكن للحق تابعا ولا تتبع هوى شاذا !!.

قال سعيد: يا أمير المؤمنين إنك قد أوصيتني فاستمعت منك، فاستمع مني أوصيك، قال: هات، قال: يا أمير المؤمنين خف الله في الناس ولا تخف الناس في الله، وأحب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك، واكره لقريب المسلمين وبعيدهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، وخض الغمرات إلى الحق حيث علمته، ولا تأخذك في الله لومة لائم، فأكب عمر طويلا وفي يده عصا له وهو واضع جبهته عليها، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على خديه.

فقال: لله أبوك يا سعيد، ومن يستطيع هذا العمل الذي تذكر ؟

قال: من قطع لله في عنقه مثل الذي قطع في عنقك فهو جدير عليك ألا تفعل، إنما عليك أن تأمر فيطاع أو يعصىٰ، فتبوء بالحجة ويبوء القوم بالمعصية. (١)

هذا رجل من رجالات عمر، وهذي تربية عمر لعماله.

لا رخصة في العدل:

ولله در عمر – الذي أوحدت به أمه – يكتب إلى سعد بعد نصر القادسية "أما العدل، فلا رخصة فيه في قريب ولا بعيد ولا شدة ولا رخاء، والعدل إن رُؤِيَ لينا فهو أقوى وأطفأ للجور وأقمع للباطل من الجور وإن رُؤِيَ شديدا فهو أنكش للكفر". (٢)

يا خالق عمر سبحانك:

عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: "اشتريت إبلا، وارتجعتها إلى الحمى فلما سمنت قدمت بها، قال: فدخل عمر بن الخطاب السوق فرأى إبلا سمانا، فقال: لمن هذه؟ قيل: لعبد الله بن عمر، قال: فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر، بخ بخ ! ابن أمير المؤمنين، قال: فجئته أسعى، فقلت: مالك يا أمير المؤمنين ؟ قال: ما هذه الإبل؟ قلت: إبل أنضاء (٣)

---

(١) "الطريق إلى دمشق" لأحمد عادل كمال (ص ٤١٤ – ٤١٥)، دار النفائس.

(٢) "تاريخ الطبري" (٥٨٤/٣)، و "القادسية" لأحمد عادل كمال (ص٢١٤)، دار النفائس.

(٣) مفردها نضو وهو المهزول من الحيوان، والأنثى: نضوة.

اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال: فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين ! يا عبد الله بن عمر، اغد على رأس مالك، واجعل باقية في بيت مال المسلمين.

حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر:

عن أنس بن مالك أن الهرمزان رأى عمر بن الخطاب نائما في مسجد المدينة فقال: هذا والله هو المِلِك الهنيء. (١)

ولله در حافظ إبراهيم حيث يقول:

قد راع صاحب كسرى أن رأى عمرا ... بين الرعية عطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها ... سورا من الجند والأحراس يحميها
رآه مستغرقا في نومه فرأى ... فيه الجلالة في أسمى معانيها
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا ... ببردة كاد طول العهد يبليها
فهان في عينه ما كان يكبره ... من الأكاسر والدنيا بأيديها
وقال قولة حقّ أصبحت مثلا ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمِنت لما أقمت العدل بينهم ... فنمت نوم قرير العين هانيها

قد جاء في "التبر المسبوك" (١٧) أن قيصر روما أرسل رسولا إلى عمر بن الخطاب لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال: أين ملككم ؟ فقالوا: ما لنا ملك، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج الرسول في طلبه، فرآه نائما في الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد وضع جبته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه وقد بلّ الأرض، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع في قلبه وقال: رجل لا يقرّ للملوك قرار من هيبته وتكون هذه حاله ! ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت، وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرا خائفا، أشهد أن دينك الدين الحق ولولا أنني أتيت رسولا لأسلمت، ولكني أعود وأسلم". (٢)

(يتبع)

☆☆☆

(١) "تاريخ دمشق" لابن عساكر ترجمة عمر بن الخطاب (ص ٢٧٢).
(٢) الفاروق في شعر حافظ إبراهيم" لسليمان محمد سليمان (ص ٧٩–٨٠)، دار الأرقم.

بحوث ودراسات

الإجماعات التي انتقدها العلامة الألباني رحمه الله

(٣) الشيخ محمد أسلم المدني المباركفوري

إهداء ثواب قراءة القرآن إلى الأموات

ذكر موفق الدين ابن قدامة الإجماع على وصول ثواب قراء ة القرآن إلى الموتى، فقال فى معرض أدلة القائلين بالوصول: "وأنه إجماع المسلمين، فإنهم فى كل عصر ومصر يجتمعون ويقرأون القرآن ويهدون ثوابه إلى موتاهم من غير نكير". (١)

وهذا الإجماع نقله شمس الدين ابن قدامة (٢) وشمس الدين بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي (٣)، والسيوطى (٤) والقاري. (٥)

ولكن هذا الإجماع فيه نظر. فقد انتقده الإمام الألباني – رحمه الله – بقوله: "وكيف لا يكون باطلا، وفي مقدمة المخالفين الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى – وهذا مثال آخر من أمثلة ما ادعى فيه الإجماع، وهو غير صحيح". (٦)

قلت: وفي مقدمة المخالفين – أيضا – الإمام مالك – رحمه الله – .

وقد سبق إلى هذا النقد: المباركفوري (٧) والشيخ رشيد رضا (٨) وقال: "وأما دعواه الإجماع فهي باطلة قطعا، لم يعبأ بها أحد حتى أن المحقق ابن القيم الذي جاراه في أصل المسألة لم يدعها، بل صرح بما هو نص في بطلانها (٩)، وهو أنه لم يصح عن السلف شيء

(١) المغنى (٣٥٦/٢) وبتحقيق التركي (٥٢٢/٣) (٢) الشرح الكبير (٢٦١/٦–٢٦٢)

(٣) نقله السيوطى فى شرح الصدور (ص ٤١٧) والقاري في المرقاة (١٩٩/٤)

(٤) شرح الصدور (ص ٤١٧) (٥) المرقاة (١٩٩/٤)

(٦) أحكام الجنائز (ص ٢٢١) (٧) تحفة الأحوذى (٣٤١/٣) وطبعة هندية (٢٦/٢)

(٨) انظر: هامش المغنى (٣٥٦/٢) وبتحقيق التركي (٥٢٢/٣)

(٩) اهداء القرب من المسائل التي أولاها العلامة ابن القيم – رحمه الله – عناية وبحثا، واختلف فيها رأيه تبعا لشيخه شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله – ففي كتاب الروح (ص ١٥٨–١٥٩) ذكر أن قراء ة القرآن يصل =

فيها. واعتذر عنه بأنهم كانوا يخفون أعمال البر (١) وقد انتقدنا ذلك في تفسيرنا. (٢)

وسبق إلى هذا النقد أيضا الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفورى. (٣)

فظهر مما سبق أن المسألة ليس فيها اجماع صحيح، بل هي خلافية بين العلماء، نظرا إلى أهميتها ومجانبة بعض الناس عن الحق فيها، أردت أن أذكر هذه المسألة بشيء من البسط والتفصيل ...... فأقول مستعينا بالله تعالى وتوفيقه، إن العلماء اختلفوا في وصول ثواب قراءةالقرآن على قولين:

=ثوابها الى الميت، بينما قرر في تهذيب السنن (٣/٢٧٩) عدم الوصول الا ما ورد به النص.

قلت: والقول الأخير هو الراجح، لأن تهذيب السنن ألفه – رحمه الله – فى سنة ٧٣٢ هـ = ما بين رجب وشوال، وكتاب الروح ألفه بعد لقائه بشيخ الاسلام ابن تيمية، ومتأثرا به. وكان لقاؤه به فى سنة ٧١٢ هـ حينما جاء شيخ الإسلام دمشق. ولازمه سبع عشرة سنة يأخذ عنه حتى توفاه الله عز وجل سجينا فى قلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ.

ثم إن ابن القيم نفسه ذكر نصا من كتاب الروح فى جلاء الأفهام (ص ٥٥٧) وأحال عليه. والمعروف أن جلاء الأفهام ألّفه بعد سنة ٧٢٨ هـ بمدة قد تطول أو تقصر. انظر: مقدمة المحقق على جلاء الأفهام (ص ١٧) وانظر أيضا: الدرر الكامنة لابن حجر (٣/٤٠١) والتقريب لعلوم ابن القيم (ص ١٧٢) وابن القيم حياته وآثاره (ص ١٥٨ – ١٦١)

أما شيخ الاسلام ابن تيمية فيرى أنه يصل الى الميت ثواب قراءة القرآن. وصوّبه فى اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٢٦٢) وفى مجموع الفتاوى (٢٤/٣٦٦) والفتاوى الكبرى (١/٦٣)

بينما يرى فى موضع آخر أنه لا يصل إلى الميت ثواب قراءة القرآن، وإنما يصل إليه ما ورد به النص. وقال مؤيدا لهذا القول الذي اختاره أخيرا "لم يكن من عادة السلف إذا صلوا، أو صاموا، أو حجوا تطوعا، أو قرؤا القرآن: أن يهدوا ثواب ذلك للموتى. بل كان من عادتهم أن يعبدوا الله بأنواع العبادات المشروعات. ويدعوا للمؤمنين والمؤمنات لأحيائهم وأمواتهم في صلاتهم على الجنازة وعند زيارة قبورهم وغير ذلك" الفتاوى المصرية (ص ١٧١) وقال: لم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعا، وصاموا وحجوا أو قرأوا القرآن يهدون ثواب ذلك لموتاهم المسلمين، بل كان عادتهم – كما تقدم – فلا ينبغى للناس أن يعدلوا عن طريق السلف، فإنه أفضل وأكمل. الفتاوى (٢٤/٣٢٣)

وهذا القول هو الذي ذكره أبو الحسن علي بن محمد البعلي (المتوفى ٨٠٣ هـ) في كتابه "الاختيارات الفقهية لشيخ الاسلام ابن تيمية" (ص ٩٢) وأيده الشيخ العلامة عبدالرحمن بن محمد بن القاسم في حاشية الروض المربع (٣/١٤٠) والإمام الألباني في أحكام الجنائز (ص ٢٢١).

(١) الروح (ص ١٨٨ – ١٨٩) (٢) المنار (٨/٢٥٧) وما بعدها.

(٣) المرعاة (٥/٤٥٣)

القول الأول:

يصل إلى الميت ثواب قراءة القرآن، ويجوز للانسان أن يجعل ثواب عمله لغيره، وبه قال أبوحنيفة (١) وأحمد بن حنبل (٢). وبه قال المتأخرون من الشافعية، منهم: ابن الصلاح والمحب الطبري ومحلى بن جميع صاحب الذخائر المتوفى سنة ٥٥٠ ه وابن أبى عصرون عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٥٨٥ ه وابراهيم بن عبد الله المعروف بابن أبى الدم المتوفى سنة ٦٤٢ ه واعتمده السبكي وغيره (٣) واختاره من المالكية ابن رشد الجد (٤) والقرطبى (٥) والقرافي (٦).

واستدلوا بأدلة، منها:

١ – عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من مرّ بين المقابر فقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ أحد عشرة مرة، ثم وهب أجرها للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات". (٧)

٢ – عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من دخل المقابر، ثم قرأ فاتحة الكتاب، و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ ثم قال: إني جعلت ثواب ما قرأت لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات، كانوا شفعاء له إلى الله تعالى". (٨) وغيرها من الأدلة، ذكر جُلّها العلامة القاري – رحمه الله – ثم قال: "هذه الأدلة – إن كانت ضعيفة – فمجموعها يدل على أن لذلك أصلا". (٩)

ردّ عليه المباركفورى، فقال: فيه تأمل، فلينظر هل يدل مجموعها على أن لذلك أصلا

(١) الهداية (٤٤٣/١) والاختبار (١٩٢/٤) وحاشية ابن عابدين (٢٤٣/٢)

(٢) المغنى (٢٦٣/٢) والكافي (٢٧٦/١) والمحرر في الفقه (٢٠٩/١) والتحقيق في أحاديث الخلاف (٢٢/٢).

(٣) شرح مسلم للنووي (٩٠/١، ٩٠/٧) وحاشية اعانة الطالبين (٣٧٨/٣)

(٤) المعيار المعرب (٣٢١/١–٣٢٢)

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٧/١٠) والتذكرة (ص ٨٤)

(٦) الفروق (١٩٣/٣)

(٧) باطل، موضوع. الضعيفة (١٢٩٠) وأحكام الجنائز (ص ٢٤٥)

(٨) ضعيف، أخرجه أبو القاسم سعد بن على الزنجاني (المتوفى ٤٧١هـ) كما في المرقاة (١٩٨/٤)

(٩) المرقاة (١٩٨/٤)

أم لا؟ وليس كل مجموع من عدة أحاديث ضعاف يدل أن لها أصلا. (١) ولاسيما إذا كان في المجموعة حديث أو أحاديث حكم عليها العلماء بالوضع. وأما الضعيف فإنه يتقوى إذا كان الضعف قليلا. مثل أن يكون ناشئا من جهة سوء الحفظ ونحو ذلك في مختلف طرقه، لا من تهمة في صدقهم أو دينهم، وإلا فلا يتقوى مهما كثرت طرقه. ولا يكون له أصلا محفوظا عن النبى صلى الله عليه وسلم. (٢)

٣ – القياس على الدعاء والصدقة والصوم والحج، وقالوا: لا فرق في نقل الثواب بين أن يكون عن حج أو صدقة أو وقف أو دعاء أو قراءة، لأن الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك، كما لم يمنع من هبة ماله في حياته وابرائه له منه بعد وفاته. وقد نبه النبى صلى الله عليه وسلم بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب القراءة ونحوها من العبادات البدنية.

يوضحه أن الصوم كف النفس عن المفطرات بنية (٣)، وقد نصّ الشارع على وصول ثوابه إلى الميت، فكيف بالقراءة هي عمل ونية، إذاً وصول ثواب الصوم إلى الميت فيه تنبيه على وصول سائر العبادات البدنية. (٤)

القول الثاني: لا يصل إلى الميت ثواب قراءة القرآن وغيرها من العبادات البدنية إلا ما ورد به النص. وبه قال مالك والشافعى. (٥)

ونسبه ابن الجوزي (٦) إلى "أكثر العلماء"، وكذا النووي (٧) إلى "الجمهور" والزبيدى إلى "جماعة من الحنفية" (٨) واختاره أبو محمد عزالدين بن عبد السلام المعروف بالعز بن عبد السلام من الشافعية (٩)، وابن عقيل

(١) تحفة الأحوذي (٣/٣٤٠–٣٤١) (٢) قواعد التحديث (ص ٩٠) وتمام المنة (ص ٣١)
(٣) الاختيار (١/١٣٣) والتعريفات (ص ١٣٦)
(٤) المغنى (٢/٣٥٦) والتذكرة (ص ٨٥) والروح (ص ١٦٤) وشرح الطحاوية (ص ٤٥٥)
(٥) الفروق (٣/١٩٢) والشرح الصغير (١/٢٠٥) والأم (١/١٣٩٠) والحاوى (٨/٢٩٩) والاشراف (٤/٤٦٣).
(٦) التحقيق فى أحاديث الخلاف (٢/٢٢) (٧) فى فتاواه (ص ٧٦) وشرح مسلم (١١/٨٣)
(٨) اتحاف السادة المتقين (١٠/٣٦٩) نقلا عن أحكام الجنائز (ص ٢٢١)
(٩) قواعد الأحكام (١/٩٩)

حكى القرطبي أنه رؤي فى المنام بعد وفاته، فسئل عن ذلك ؟ فقال: كنت أقول ذلك في الدنيا، والآن بان لي أن ثواب القراءة يصل إلى الميت (التذكرة ص ٩٣) هذه حكاية مختلقة باطلة والأحكام لا تثبت بالرؤيا. انظر: فتح الباري (٢/٩٨).

من الحنابلة. (١)

واستدلوا بما يأتي:

١ – قوله تعالى: ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾. (٢)

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في وجه الدلالة من الآية الكريمة: "ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي – رحمه الله – ومن اتبعه، أن القراء ة لا يصل اهداء ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس من عملهم وكسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء. (٣)

٢ – عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث: الا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له. (٤)

وجه الدلالة من الحديث: أن النبى ﷺ أخبر أن الميت ينتفع بما كان قد تسبب في حياته، وما لم يكن تسبب في حياته فهو منقطع عنه. (٥)

الصدقة الجارية: هي الصدقة التى لا ينقطع ثوابها، أو ما يديم للولي اجراؤها عنه. (٦)

---

(١) تسلية أهل المصاب (ص ٢٤١)		(٢) النجم: (٣٨–٣٩)

(٣) تفسير ابن كثير (٣٧٦/٤)		(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٣١/١٤) وبشرح النووي (٨٥/١١)

(٥) الروح (ص ١٦٥) وشرح الطحاوية (٤٥٢)		(٦) المرعاة (٣٠٦/١)

وقد ورد تفسيرها عن النبي ﷺ في حديث آخر، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "إن مما يلحق الميت من عمله وحسناته بعد موته، علما عَلّمه ونشره، وولدا صالحا تركه، ومصحفا ورّثه أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه بعد موته".

أخرجه ابن ماجه (٢٤٢) وابن خزيمة (٢٤٩٠) والبيهقى فى شعب الايمان (٦٤/٧–٦٥ ح ٣١٧٤) وحسّنه الألباني فى صحيح الجامع (٤٤٣/١) وصحيح ابن ماجه (٤٦/١) والارواء (٢٩/٦) وصحيح الترغيب (١٥٦/١ ح١١٢) وأحكام الجنائز (ص ٢٢٤).

وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه بلفظ: "سبعة يجرى للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره، من علم علما، أو كرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته.

أخرجه البزار – كما فى المجمع – وأبو نعيم فى الحلية (٣٤٣/٢–٣٤٤) والبيهقى فى شعب الايمان (٦٥/٧ ح ٣١٧٥) وقال الهيثمى فى المجمع (١٧٢/١): رواه البزار، وفيه محمد بن عبيد الله العزرمي، وهو ضعيف. وقال البيهقى محمد بن عبيد الله العزرمي ضعيف، غير أنه قد تقدمه ما يشهد لبعضه – والله أعلم – وهما لا يخالفان الحديث الصحيح. شعب الايمان (٦٦/٧) يعنى به: حديث أبى هريرة عند مسلم المذكور.

٣ – عن أبى قتادة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خير ما يُخلّف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يعمل به بعده. (١)

٤ – عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ثلاث تنال المؤمن بعد وفاته: الولد الصالح يدعو له من بعد وفاته، فيناله أجر دعائه، والرجل يترك الصدقة في الموضع الصالح، فتنفذ لوجهها، والرجل يعلم العلم الصالح، فينتهي به عن المعاصي". (٢)

٥ – قال الشافعي رحمه الله: "يلحق الميت من فعل غيره وعمله ثلاث: حج يؤدى عنه، ومال يتصدق به عنه أو يقضى، ودعاء. وأما ما سوى ذلك من صلاة أو صيام فهو لفاعله دون الميت. وإنما قلنا بهذا دون ما سواه استدلالا بالسنة في الحج خاصة. والعمرة مثله قياسا. وذلك الواجب دون التطوع.

ولا يحج أحد عن أحد تطوعا، لأنه عمل على بدن. فأما المال فإن الرجل يجب عليه فيما لله الحق من الزكاة وغيرها، فيجزيه أن يؤدى عنه بأمره، لأنه إنما أريد بالفرض فيه تأديته إلى أهله، لا عمل على البدن. فإذا عمل امرؤ عنى على ما فرض فى مالي فقد أدى الفرض عنى.

وأما الدعاء فان الله عز وجل ندب العباد إليه، وأمر رسول الله ﷺ به، فإذا جاز أن يدعى للأخ حيا، جاز أن يدعى له ميتا، ولحقه – إن شاء الله تعالى – بركة ذلك، مع أن الله – عز ذكره – واسع، لأن يوفى الحي أجر، ويدخل على الميت منفعته، وكذلك كلما تطوع رجل عن رجل صدقة تطوع". (٣)

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤١) وابن حبان (١/٢٩٥ ح ٩٣، ١١/٢٦٦ ح ٤٩٠٢) والطبرانى فى الصغير (١/١٤١) وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١/١٥) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١/٦٢٨) وصحيح ابن ماجه (١/٤٦) وأحكام الجنائز (ص ٢٢٤) وصحيح الترغيب والترهيب (١/١٥٦ ح ١١٣).

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١/١٥–١٦) وفى سنده أبو سعيد مولى المهري، قال عنه الحافظ فى التقريب (ص ٦٤٤ / ٨١٣٣) "مقبول" أي: حيث يتابع وإلا فلين الحديث عند التفرد. فالحديث سنده ضعيف، وهو صحيح لشواهده.

(٣) الأم (١/١٣٩٠)

﴿ الترجيح ﴾:

الراجح – والله أعلم – هو القول الثاني – وهو قول الإمام مالك والشافعي ومن وافقهما. وهو التوقف على ما ورد به النص، ومنع ما عداها، وذلك لما يلي:

١ – الأصل في العبادات التوقيف (١)، حتى يدل الدليل على مشروعيتها، وقد دل الدليل على مشروعية البعض، كالحج والعتق والصوم والدعاء، فوجب ترك ما سواه.

قال الحافظ ابن كثير: "وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء". (٢)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: "العبادات كلها مبناها على الاتباع، لا على الابتداع، فليس لأحد أن يشرع فى الدين ما لم يأذن به الله ". (٣)

٢ – إنه لم يسمع في عهد النبى ﷺ ولا في عهد أصحابه أن قرأ أحد القرآن. ثم اهدى ثوابه لميت، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، وهم أعلم الناس بدين الله ورسوله. (٤)

٣ – إنه لم يقم على إهداء ثواب القرآن دليل شرعي، لا من القرآن ولا من السنة النبوية الصحيحة الصريحة ولا من الاجماع، ولا يكفى فى مثل هذه المسألة حديث ضعيف، فضلا عن القياس، لأن العبادة لا تشرع بالقياس ولا بالاستحسان، انما تشرع بالشرع. (٥)

٤ – الأعمال البدنية لا يصل ثوابها الى الغير بحال، لأن المقصود منها اتعاب النفس (٦). فقراء ة القرآن لا يصل ثوابها الى الميت، لأنها من الأعمال البدنية.

٥ – إن القياس فى العبادات يفتح الباب أمام المبتدعة ليدخلوا فى دين الله ما شاؤوا.

☆☆

(يتبع)

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٢٢/٥١٠–٥١١، ٢٩/١٦)

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٣٧٦)

(٣) الاستغاثة (١/١٦٥–١٦٦) وراجع: مختصر الفتاوى المصرية (ص ٤٠٠)

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٣٧٦)

(٥) مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٢٩/١٦) وراجع: الاعتصام للشاطبي (٢/٢٧٣) بتحقيق: مشهور حسن سلمان، والمرعاة (٥/٤٥٣)

(٦) الهداية (١/٤٤٣) والبحر الرائق (٣/١٠٧)

آداب إسلامية:

آداب الطهارة والنظافة

(٣-٣)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادى
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

٢٩ - يجب الغسل بالجماع وان لم يكن معه إنزال. ففى الحديث عن أبي هريرة أن نبي الله ﷺ قال: "إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب عليه الغسل، وفى حديث مطر: "وان لم ينزل". (١)

إن إيجاب الغسل لا يتوقف على نزول المني بل متى غابت الحشفة فى الفرج وجب الغسل على الرجل والمرأة.

وأما حديث "الماء من الماء" فالجمهور من الصحابة ومن بعدهم قالوا: انه منسوخ، ويعنون بالنسخ أن الغسل من الجماع بغير إنزال كان ساقطا ثم صار واجبا". (٢)

٣٠ - لا ينتقض الوضوء بأكل ما مسته النار. فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أكل كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ. (٣)

وأما حديث "توضؤا مما مسته النار" فهو منسوخ بحديث جابر رضى الله عنه قال: "كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مسته النار" وهو حديث صحيح رواه أبوداود والنسائى وغيرهما من أهل السنن بأسانيدهم الصحيحة، أو ان المراد بالوضوء غسل الفم والكفين". (١)

٣١ - يطهر بالدباغ جميع جلود الميتة الا الكلب والخنزير والمتولد من أحدهما.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: تصدق على مولاة ميمونة بشاة فماتت، فمر بها رسول الله ﷺ فقال: "هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به فقالوا: إنها ميتة، فقال: انما

(١) رواه مسلم فى كتاب الطهارة، باب بيان أن الجماع الخ.
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١ / ١٥٥.
(٣) رواه مسلم فى كتاب الطهارة، باب الوضوء مما مسته النار.
(٤) شرح صحيح مسلم ١ / ١٥٦.

حرم أكلها". (١)

قال الإمام النووي: "اختلف العلماء في دباغ جلود الميتة وطهارتها بالدباغ على سبعة مذاهب.

أحدها مذهب الشافعى أنه يطهر بالدباغ جميع جلود الميتة الا الكلب والخنزير والمتولد من أحدهما وغيره، ويطهر بالدباغ ظاهر الجلد وباطنه، ويجوز استعماله فى الأشياء المائعة واليابسة ولا فرق بين مأكول اللحم وغيره، وروى هذا المذهب عن علي بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما.

والمذهب الثاني: لا يطهر شيء من الجلود بالدباغ، وروى هذا عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وعائشة رضى الله عنهم، وهو أشهر الروايتين عن أحمد واحدى الروايتين عن مالك.

والمذهب الثالث: يطهر بالدباغ جلد مأكول اللحم ولا يطهر غيره، وهو مذهب الأوزاعي وابن المبارك وأبى ثور واسحاق بن راهويه.

والمذهب الرابع: تطهر جلود جميع الميتات الا الخنزير وهو مذهب أبى حنيفة.

والمذهب الخامس: يطهر الجميع الا أنه يطهر ظاهره، دون باطنه، ويستعمل فى اليابسات دون المائعات ويصلى عليه لا فيه وهذا مذهب مالك المشهور فى حكاية أصحابه عنه.

والمذهب السادس: يطهر الجميع والكلب والخنزير ظاهرا وباطنا، وهو مذهب داود وأهل الظاهر، وحكى عن أبى يوسف.

والمذهب السابع: أنه ينتفع بجلود الميتة وان لم تدبغ، ويجوز استعمالها فى المائعات واليابسات وهو مذهب الزهري وهو وجه شاذ لبعض أصحابنا لا تفريع عليه ولا التفات إليه. (٢)

٣٢ – الإنسان طاهر مسلما كان أو كافرا، فعرقه ولعابه ودمه طاهرات سواء كان محدثا أو جنبا أو حائضا أو نفساء، وكذلك الصبيان أبدانهم وثيابهم ولعابهم محمولة على الطهارة حتى تتيقن النجاسة فيجوز الصلاة في ثيابهم والأكل معهم من المائع إذا غمسوا أيديهم فيه.

(١) رواه مسلم فى كتاب الطهارة، باب طهارة جلود الميتة بالدباغ.

(٢) شرح صحيح مسلم ١ / ١٥٨، ١٥٩.

والمستحب لطالب العلم أن يحسن حاله في حال مجالسة شيخه فيكون متطهرا متنظفا بإزالة الشعور المأمور بإزالتها وقص الأظفار وإزالة الروائح الكريهة والملابس المكروهة وغير ذلك، فإن ذلك من إجلال العلم والعلماء.

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أنه لقى النبى ﷺ في طريق من طرق المدينة وهو جنب فانسل فذهب فاغتسل فتفقده النبى ﷺ، فلما جاء ه قال: أين كنت يا أبا هريرة ؟ قال: يا رسول الله ! لقيتنى وأنا جنب فكرهت أن أجالسك حتى أغتسل، فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله ! إن المؤمن لا ينجس. (١)

٣٣ – يجوز ذكر الله تعالى بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وشبهها من الأذكار في حال الجنابة وغيرها. فعن عائشة – رضى الله عنها – قالت: كان النبى ﷺ يذكر الله على كل أحيانه. (٢)

قال الإمام النووي: "وانما اختلف العلماء في جواز قراء ة القرآن للجنب والحائض فالجمهور على تحريم القراء ة عليهما جميعا، ولا فرق عندنا بين آية وبعض آية فإن الجميع يحرم، ولو قال الجنب: بسم الله، أو الحمد لله ونحو ذلك ان قصد به القرآن حرم عليه، وان قصد به الذكر، أو لم يقصد شيئا لم يحرم، ويجوز للجنب والحائض أن يجريا بالقرآن على قلوبهما وأن ينظرا في المصحف، ويستحب لهما اذا أرادا الاغتسال أن يقولا: بسم الله على قصد الذكر، واعلم أنه يكره الذكر في حالة الجلوس على البول والغائط وفي حالة الجماع. (٣)

٣٤ – يجوز للمحدث أن يأكل ويشرب ويذكر الله سبحانه وتعالى، ويقرأ القرآن، ويجامع، ولا كراهة في شيء من ذلك، وقد تظاهرت على هذا كله دلائل السنة الصحيحة المشهورة مع إجماع الأمة.

عن ابن عباس – رضى الله عنها – أن النبى ﷺ خرج من الخلاء، فأتي بطعام، فذكروا له الوضوء، فقال: أريد أن أصلى فأتوضأ ؟ (٤)

☆☆☆

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الطهارة، باب الدليل على أن المسلم لا ينجس.

(٢) رواه مسلم فى كتاب الطهارة، باب ذكر الله تعالى فى حال الجنابة.

(٣) شرح صحيح مسلم ١ / ١٦٢.

(٤) رواه مسلم فى كتاب الطهارة، باب جواز أكل المحدث الطعام وأنه لا كراهة فى ذلك.

عبر ومواعظ

توديع عام ...... واستقبال عام

مسعود عالم بن عبد القيوم

نيودلهى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

قد انتهى العام الهجري وابتدأ عام آخر، إنها قنطرة عبرناها لتستقر أقدامنا على قنطرة أخرى، فخطوة نودع بها الماضي، وأخرى نستقبل بها الآتى، ونقف بين قنطرتين مودعين ومستقبلين، مودعين موسما كاملا أودعنا فيه ما شاء الله أن نودع، فخزائن بعضنا ملأى بما هو له، وخزائن بعضنا ملأى بما هو عليه، فلا إله إلا الله، يخلق ما يشاء ويختار، وما ربك بظلام للعبيد، هكذا هذا العام طوى بساطه، وقوض خيامه، وشد رحاله، "كل الناس يغدو، فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها" لقد انتهى العام، بماذا انتهى؟ حضر فلان، وغاب فلان، مرض فلان، ودفن فلان، وهكذا دواليك، تغير أحوال، وتبدل أشخاص، فسبحان الله ما أحكم تدبيره، يعز من يشاء ويذل من يشاء، يعطي من يشاء بفضله، ويمنع من يشاء بعدله، [وربك يخلق ما يشاء ويختار] أمور تترى، تزيد العاقل عظة وعبرة، وتنبه الجاهل من سبات الغفلة، ومن لم يعتبر بما يجرى حوله، فقد غبن نفسه ...... فالعاقل من اتعظ بأمسه، واجتهد فى يومه، واستعد لغده.

وهذا السير الحثيث يباعد عن الدنيا ويقرب إلى الآخرة، ويباعد من دار العمل ويقرب من دار الجزاء، قال علي بن أبى طالب رضى الله عنه: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فان

اليوم عمل وحساب، وغدا حساب ولا عمل. (أخرجه البخارى)

فكم من سيئات فيه اجترحنا، وكم من عزيز أمسى فيه ذليلا، وكم من غني أضحى فيه فقيرا، وكم من حوادث عظام مرت بنا، ولكن أين المعتبرون المبصرون؟ وأين الناظرون إلى قول النبى ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ"، ومعنى هذا الحديث أن هاتين نعمتان عظيمتان ولكن قليلا من الناس يدرك ذلك ويعيه فيخسر لعدم إدراكه ووعيه، إن كثيرا من الأصحاء لايستفيدون من زمان صحتهم فيقربون إلى ربهم ومولاهم سبحانه وتعالى، وإن كثيرا من الفارغين كذلك لا يشغلون أنفسهم بما يرضيه سبحانه وتعالى.

وقد قال الحبيب ﷺ: "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك".

ومعظم هذه – إن لم تكن كلها – تعتمد على الوقت والاستفادة منه، قال ﷺ: "بادروا بالأعمال سبعا" أى أسرعوا إلى فعل الخيرات والقربات قبل أن تأتيكم سبع، يقول المصطفى ﷺ: "بادروا بالأعمال سبعا هل تنظرون إلا فقرا منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا، أو موتا مجهزا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر". (رواه الترمذي وقال: حديث حسن)

إن الذى يقضى الساعات لاهيا ولاعبا ويسر الليالى غافلا مفرطا فليعلم أن أهل الجنة ما يتحسرون على شيء كتحسرهم على ساعة مرت بهم فى الدنيا لم يذكروا الله فيها – جعلنى الله وإياكم من أهلها – يقول أحد الصالحين: "إنما أنت أيام، فكلما ذهب يوم ذهب بعضك" ويقول: "إنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين على نقصان عمرك، وما نفع مال يزيد وعمر ينتقص، ويلك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهى مقبلة عليك، وتقبلين على الدنيا وهى معرضة عنك، فكم من مستقبل يومه ولا يستكمله، وكم من مؤمل فى الخير لا يبلغه".

فلنأخذ أنفسنا بالجد ولنحافظ على أوقاتنا فلا نصرف فى أمر حقير وقتا كثيرا

ولنعلم أولادنا الانتفاع بأوقاتهم وحسن تنظيمها وتوزيعها، فان الواجبات أكثر من الأوقات، وما مات أحد انتهى من شغله فلنسدد ولنقارب، وبالحفاظ على الوقت ترتقي الأمم، وبه مع الاخلاص والاتباع تعود العزة المفقودة لأمتنا فإذن الله تعالى.

أعيذكم بالله ونفسى من حال الظالمين الذين لا ينتفعون بأعمارهم وأوقاتهم ويحكي القرآن قصتهم وحالهم فيقول عزوجل: [حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون، لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون، فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساء لون، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون]. (المؤمنون: ٩٩ – ١٠٤)

والمسلم الصالح من تكون له وقفات دائمة مع نفسه ليحاسبها ويصحح مسيرته ويتدارك خطأه، لاسيما عند انقضاء مرحلة من مراحل عمره، إن النفس سريعة التقلب، ميالة فى كثير من الأحيان إلى الشر، كما ورد فى القرآن [إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى] (يوسف: ٥٣) ومن هنا كان لزاما على كل عبد يرجو لقاء ربه أن يطيل محاسبته لنفسه، وأن يجلس معها جلسات طوالا، فينظر فى كل صفحة من عمره مضت، ماذا أودع فيها.

قال أبو حامد الغزالى: "اعلم أن العبد كما (ينبغى) أن يكون له وقت فى أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق، فينبغى أن يكون له فى آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها، كما يفعل التجار فى الدنيا مع الشركاء فى آخر كل سنة أو شهر أو يوم، حرصا منهم على الدنيا، وخوفا من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم فى فواته ...... فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ؟ ما هذه المساهلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله".

إن وقفة التوديع مثيرة للأشجان، مهيجة للأحزان، إذ هى مصاحبة للرحيل، مؤذنة

بالانقضاء، ولقد مضى من عمر الزمن عام كامل، تقلبت فيه أحوال، وتصرمت فيه آجال، ونزلت فيه بالأمة النوازل التى تقضى لها المضاجع، وتضطرب منها الألباب، وتجف القلوب، واذا كان ذهاب الليالى والأيام ليس لدى الغافلين اللاهين غير مضي يوم ومجي آخر، عند أولي الأبصار باعث حي من بواعث الاعتبار، ومصدر متجدد من مصادر العظة والادكار، يصور ذلك ويبينه قول الحسن البصرى رحمه الله "يا ابن آدم ! انما أنت أيام، فاذا ذهب يوم ذهب بعضك".

إنها وقفة لمراجعة الذات، ومحاسبة النفس، بالوقوف منها موقف التاجر الأريب من تجارته، ألم تروا إليه كيف يجعل لنفسه زمنا معلوما، ووقتا مضروبا، ينظر فيه إلى مبلغ ربحه وخسارته، باحثا عن الأسباب متأملا فى الخطأ والصواب ؟

وإن سلوك المسلم الداعى هذا المسلك ليربو فى شرف مقاصده، وسمو أهدافه، وكمال غاياته على ذلك، لأنه سعي إلى الحفاظ على المكاسب الحقة التى لا تبور تجارتها، ويكسد سوقها، ولا تفنى أرباحها، لأنها الباقيات الصالحات التى جعل لها سبحانه مكانا عليا، ومقاما كريما، وفضلها على ما سواها فقال سبحانه: [المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا]. (الكهف: ٤٦)

ولذا كانت العناية بهذه المراجعة والحرص على هذه المحاسبة دأب أولى النهى، وديدن أهل اليقظة ونهج الراشدين، وسبيل المخبتين، لا يشغلهم عنها لهو الحياة ولغوها، وزخرفها وزينتها، فيقطعون أشواط الحياة بحظ موفور من التوفيق فى ادراك المنى، وبلوغ الآمال، والسلامة من العثار.

وإن ارتباط المراجعة والمحاسبة بالتغيير إلى الأفضل والأكمل وثيق العرى، فالمراجعة والمحاسبة تظهران على المرء مواطن النقص، ومواضع الخلل، ومجالب الزلل، فاذا صح منه العزم، وخلصت النية، واستبان الطريق، وصدق ذلك كله العمل، جاء عون الله بمدد لا ينفد، فأورث حسن العاقبة، وتبدل الحال، وبلوغ المراد.

وإن الحاجة إلى سلوك نهج المراجعة والمحاسبة ليست خاصا بأفراد أو بطائفة بعينها، بل إن الأمة بمجموعها بحاجة إليه أيضا، ولا غنى لها عنه وهى تودع عاما وتستقبل عاما جديدا، لكنها فى حق الأمة مراجعة تتسع أبعادها، ويعم نطاقها، ويعظم نفعها، اذ هى نظرة شاملة للأحداث، وتأمل واع للنوازل، وتدارس دقيق للعظات والعبر التى حفل بها التاريخ القديم والحديث، وسعي حثيث من بعد ذلك الى تصحيح المسار، وإقامة العوج، لتذليل الطريق أمام استئناف الحياة الإسلامية القويمة الراشدة المرتكزة على هدى الوحيين، المستضيئة بأنوار المصدرين.

يقول تعالى: [يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون]. (الحشر: ١٨–١٩)

فليكن لكم مرور الأيام وتصرم الأعوام حسن الاعتبار، واعلموا أن الأوقات خزائن، فلينظر كل امرىء ماذا يضع فى خزائنه التى لا غنى لكم عنها فى يوم تشخص فيه الأبصار، ويقوم الناس لرب العالمين.

وأما الاحتفال برأس السنة الهجرية فلم يرد فى شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين ولا الأئمة الأربعة، ولا غيرهم، ولاروى أهل الكتب المعتمدة فى ذلك شيئا، ولا عن النبى ﷺ ولا الصحابة ولا التابعين، لا صحيحا ولا ضعيفا، لا فى كتب الصحيح ولا فى السنن ولا المسانيد ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة.

اللهم اجعل يومنا خيرا من أمسنا وغدنا خيرا من حاضرنا. (آمين)



التوجيه الاجتماعي:

الأمن الفكري وأثره على الشباب

عبد الوحيد عبد القادر / الرياض

إن الأمن الفكري حاجة أساسية تطمح إليها الأفئدة، ومصلحة وطنية حيوية تنشدها الدولة بأجهزتها ومؤسساتها، وترصدها بخططها وبرامجها للتنمية الشاملة، وهو غاية سامية تعمل لتحقيقها منظمات المجتمع المدني كالجمعيات الخيرية التعليمية والاجتماعية، كما أنه ميدان خصب للدراسات الاجتماعية المتخصصة، فالكل يتطلع إلى المجتمع الآمن من الآفات التي تهدد بنيانه بالتصدع وكيانه بالأخطار، كالجهل، والفقر والمرض، والمخدرات، والجرائم والانحراف السلوكي.

وفي ظل الأمن الفكري – وكذلك الاجتماعي – يزدهر التعليم وتتسع مجالاته وينمو الاقتصاد نموا شاملا سليما، ويطمئن الناس على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم ومستقبل أولادهم، وتتمكن معاني الأخوة وروح التعاون بينهم، فتؤدى الحقوق، ويسود العدل ويختفي الظلم، وتتأسس شبكة من العلاقات الاجتماعية على الثقة والتفاهم والانسجام، فتكون مثمرة منتجة متعاونة على خدمة الدولة والمجتمع. والأمن الفكري لا يأتي من خارج المجتمع، بل إنما يتحقق على أيدي أبنائه وبجهودهم المتضافرة المتناسقة، فهو مسؤلية الجميع، كل حسب موقعه ومجال تخصصه. ولابد من إدراك معنى الأمن الفكري أولا، وانتشار الوعي بأهميته ووسائل تحقيقه ثانيا، حتى تتوفر الأرضية الثقافية المحفزة للنفوس من داخلها نحو العمل، وعندئذ يسهل تجنيد الطاقات، وتفعيل المؤسسات لتوفير الأمن الفكري والاجتماعي، ومن ثم معالجة الأفكار الهدامة التي تهدد كيان المجتمع والدولة، وبذلك يجد الاختلال سبيله إلى الناس والمجتمع.

ومن الجدير بالذكر أن شباب الأمة هم أكثر الناس تأثرا بالتشتت الفكري، وهم أكثر الناس تورطا فى الأعمال التخريبية، ولذلك نجد أن الإسلام قدّم حلولا لضرب الأفكار

الهدامة وللمحافظة على عقول الناشئة الجديدة، وحراسة كاملة من جميع الجهات، ولما كان الشباب أكثر الناس تأثرا بالفتاوى التكفيرية وبالغزو الفكري الثقافي الغربي نرى في هذه المملكة الانسانية أن قادتها الأجلاء يسعون ويبذلون كل الجهود للدفاع عن الأفكار السيئة الهدامة، وكذلك يقدمون حلولا متناسبة للجيل الجديد، وخاصة وزير الداخلية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز يهتم بذلك اهتماما بالغا، حتى رأيت قبل أيام صدر منه قرار لتدشين "كرسي الأمير نايف للأمن الفكري" وأرى أن ذلك أول كرسي من هذا النوع على المستوى العالمى، جزاه الله خيرا.

وقد بذلت قصارى جهدى فى اعداد هذا البحث الذي يتناول جوانب مهمة عن الأمن الفكري، وأهميته فى المجتمع المعاصر، وعناية الاسلام بذلك، والعراقيل التى بين المجتمع والأمن الفكري وكذلك أثر الأمن الفكري على الشباب والمشكلات التى يواجهونها فى هذا السبيل ثم قدمت بعض الحلول والاقتراحات التى تساعد الشباب على التحلي بالأمن الفكري ، إن شاء الله .

أولا نتعرف على معنى الأمن وما جاء في معناه فى القرآن الكريم والسنة النبوية.

قال ابن منظور: "الأمن ضد الخوف" وفى التنزيل: "وآمنهم من خوف" (١).

وقوله تعالى: "واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا" (٢) قال أبو اسحاق: "أراد ذا أمن فهو آمن وأمين"، وعن اللحياني: "ورجل أمن وأمين بمعنى واحد. وفى التنزيل أيضا: "وهذا البلد الأمين". (٣)

والرسول – ﷺ – بين أن الأمن أعظم مطلب للمسلم فى هذه الحياة، وأوضح ذلك بقوله: "من أصبح منكم آمنا فى سربه، معافى في جسده، وعنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا".

ولقد بين الرسول ﷺ فى هذا الحديث أن الأمن الذى يحصل للانسان على نفسه وماله ومعاناته فى بدنه، ولديه من القوت ما يسد جوعه فى يومه، أعظم شيء يحصل عليه، فلا مال يستفاد منه بدون الأمن، فلا أمن ولا صحة ولا حياة ترجى بدون الأمن، فالأمن هو الحياة،

(١) سورة قريش: ٤. (٢) سورة البقرة: ١٢٥. (٣) سورة التين: ٣ .

ويقول الرسول – ﷺ – "والذى نفسي بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا".

المقصود بالأمن الفكري:

هو اطمئنان الناس على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية، يعنى السكينة والاستقرار والاطمئنان القلبي، واختفاء مشاعر الخوف على مستوى الفرد والجماعة فى جميع المجالات سواء كانت نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية وغيرها، وبهذا يكون منطلق كل عمل يمارسه الانسان ويظهر فى سلوكه من خير أو شر مركوزا فى كيانه الفكري والاعتقادي ومستكنا فى داخل النفس وأعماقها، وكذلك خلو عقل الانسان عن المشاعر الفاسدة، والأفكار المتطرفة التي تؤدي الى وقوع الأعمال التخريبية فى المجتمع، ومن ثم تربية الكيان البشري على منهج سوي يهدي إلى التعايش السلمي واحترام مشاعر الآخرين.

أقسام الأمن:

الأول المطلق: ولا يكون ذلك إلا فى الجنة نسأل الله تعالى من فضله الجنة. فهناك الأمان المطلق، فلا فقر ولا موت ولا مرض ولا خوف لقوله تعالى: "ادخلوها بسلام آمنين" (١) وقوله جل وعلا: "إن المتقين فى مقام أمين". (٢)

الثانى النسبي: وهو أمن الدنيا، لأنه مشوب بالآفات. الأمن فى الدنيا يطرد وينعكس باستقامة الفرد والجماعة، فعلى قدر الاستقامة يكون الأمن ويفتقد منه بنسبة وقوع المعاصي، فقد استيقظ النبى ﷺ ذات ليلة وهو محمر وجهه قائلا: "ويل للعرب من شر قد اقترب فتح من ردم يأجوج وماجوج وحلق – عليه السلام – بإصبعيه وقالت إحدى نسائه "أنهلك وفينا الصالحون قال: نعم، إذا كثر الخبث" وقال تعالى: "ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون". (٣)

بشرى يا من حققت الإيمان والاستقامة بقوله تعالى: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون". (٤)

(١) سورة الحجر: ٤٦. (٢) سورة الدخان: ٥١.

(٣) سورة النحل: ١١٢. (٤) سورة الأنعام: ٨٢.

الأمن مسئولية من ؟

المسئولية عامة تشمل الفرد والمجتمع والدولة وبتضامنهم جميعا يتحقق الأمن الشامل، فإذا أخلّ واحد منهم فيمسئوليته يختل نظام أمن المجتمع.

كيف يتحقق الأمن الاجتماعى؟

يتحقق الأمن الاجتماعى بوجود التضامن والتعاون بين أفراد المجتمع بدليل أن الرسول ﷺ أول ما فعل عند ما جاء المدينة مهاجرا، آخى بين المهاجرين والأنصار، ولقوله عليه الصلاة والسلام "المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" ولذلك حرم الإسلام الغيبة والنميمة والتباغض والتحاسد والمقاطعة لمالها من أثر كبير فى تفكك العلاقات بين الناس، وكذلك حث الإسلام على الأخوة واحترام الآخرين.

هل للأمن علاقة بمقاصد الشريعة ؟

مما لا شك فيه أن الشريعة الإسلامية تدعم دائما مصالح البشرية، وتهتم اهتماما بالغا بحفظ المصالح الخمسة وصيانتها من الضياع وهي:

الدين ، النفس ، العقل، العرض ، المال.

الدين: لا يمكن أن يستقر وضع الإنسان الا بحفظ مبادىء وأصول الدين وقيمه التي ينبغى أن تملأ الوعاء الباطني وهو القلب. يقول – عليه الصلاة والسلام – إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدودا فلا تنتهكوها".

النفس: النفس إما تكون مسلمة أوغير مسلمة، فالمسلمة قال الله فيها: "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاء ه جهنم خالدا فيها" (١) وقوله عليه السلام: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار". وقال أيضا: "لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل امرىء مسلم"، وغير المسلم إما أن يكون معاهدا أو ذميا، فالرسول ﷺ يقول: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد بمسيرة أربعين عاما".

العقل: لا يستقيم شخص الا بحفظ مبادىء الدين وقِيمَه فى الوعاء الباطني – القلب – الذي

(١) سورة النساء: ٩٣.

هو محط الأفكار والوساوس، ولا يكون ذلك الا بحفظ المنافذ المطلة عليه من سمع وبصر والابتعاد عن المحرمات والمسكرات والمخدرات وكل ما يؤثر على العقل ويفقد سلامته وصوابه.

العرض: ويكون حفظه بالبعد عن مسببات الزنا، وذلك باجتناب الاختلاط والخلوة بالمرأة الأجنبية، وسماع الأغاني، وممارسة العادات القبيحة والأعمال السرية مما يسبب لضعف التماسك على النفس، فيقع الانسان فى رذيلة، فباجتننا بها يحصل الأمن على العرض.

المال: بحفظه من الضياع والوقوع فى الربا وعدم ادخاله فى المساهمات المحرمة، وكذلك عدم استعماله فى سبيل الفواحش والمنكرات فبذلك يحصل الأمن على المال.

إذا حصل الإنسان على الأمن في هذه الضرورات الخمس فقد حصل له الأمن الفكري والاجتماعي، وبذلك يتوجه إلى التطورات الإيجابية التى يخدم بها المجتمع فى مجالات عديدة.

وبعد هذه كلها إذا فحصنا بدقة عن العراقيل التى تخرب أمن المجتمع وتفسد على أهله حياتهم ومعاشهم وتلقى الشك والريب فى الأذهان الصافية والعقول النقية، وجدنا أسبابا داخلية وخارجية، أما الأسباب الخارجية فهي خطيرة ومن بين هذه الأسباب مظاهر الغزو الفكري وتياراته.

مظاهر الغزو الفكرى وتياراته:

اتخذ الغزو الفكري للإسلام والمسلمين في العصر الحديث مظاهر عديدة. واتجهت تياراته فى مجاري عمّقها صانعوها وزادوا فى طولها وعرضها حتى طافت بالعالم الإسلامي كله، حاملة إليهم السمّ فى العسل، أو الموت فيما يزعمون أنه الدواء.

ونستطيع أن نتعرف على تلك المظاهر للغزو الفكري وتياراته فى حملات التشويه للاسلام وكتابه وسنة رسوله ﷺ وشخصه الكريم المعصوم. وحملات التشويه للتاريخ الاسلامى ونظام الحياة الاسلامى وللتراث الاسلامى كله. كما نستطيع أن ندرك مظاهر هذا الغزو فى حملات التغريب للحضارة الاسلامية وللمسلمين أنفسهم، كتغريب التعليم والثقافة والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتغريب الأخلاق والآداب والعادات، ثم تكون

قمة التغريب بتغريب اللسان لقطعه عن لغة القرآن، اللغة العربية الفصحى الحلوة.

ولقد قامت على نشر هذا الغزو الفكري وترويجه مؤسسات عديدة ومراكز خطيرة:

منها: الصهيونية والتبشير والاستعمار والمبادئ والنظريات المعادية للاسلام مثل الديموقراطية والشيوعية والاشتراكية والقوميات وغيرها.

ومنها: الفلسفات الهدامة كالوجودية والفوضوية واتخاذ العري مذهبا، واتخاذ التخنث للرجال والترجل للنساء أسلوبا فى الحياة.

ومنها: وسائل التخريب التى توجهها الصهيونية فى العالم لهدم القيم الخلقية كالسينما والمسرح والملاهي والنوادي والجمعيات الهدامة كالماسونية وأندية الروتارى وغيرها. (١)

وهذه كلها ركائز للغزو الفكري، ونُقَط انطلاق تتحرك منها الحملات وتنطلق لتغزو ثم تعود بكل خبيث هدام من وسائل حرب الإسلام والمسلمين.

وهذا الغزو الفكري له أثر طويل المدى فى المجتمع المسلم، كم من عقول تشتتت، وكم من أفكار تخربت، وكم من أخلاق تفسدت وكم من سلوكيات تبددت بسبب هذا الغزو الفكري وعاد على المجتمع بالخراب والدمار وانتهاك للأعراض بدلا من الأمن والسلام والاطمئنان.

إذا كان الأمر كذلك فهل نحن على استعداد لحماية المجتمع وأفراده عن هذه التيارات المعادية للإسلام، وكيف يمكن أن نخلق مجتمعا شاملا يكون مسؤولا عن حماية الأمن الفكري ويكون أفراده في ما من من التخريب والدمار الشامل والشرود الذهني.

وهناك سؤال يوجه على المستوى العالمي كل يوم إلى كل شعوب، هل يمكن أن يتحقق الأمن الملموس لمجتمع ما دون وجود الأمن الفكري الذى يستظل بظلاله أفراده وأهله ويكون سببا رئيسا لحلول الأمن بمعناه الشامل ؟

الجواب بالنفي طبعا ومن هنا فإن أبرز المعوقات التى تتحدى الدور الأمني الشامل لمؤسسات المجتمع هو عدم الاهتمام الكافي بحماية الأمن الفكري، وفى حقيقة الأمر فإن الأمن كل لا يتجزأ، وقد يكون المجتمع أحوج الى الأمن فى هذا العصر من أي وقت مضى،

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص: ٩٣، إعداد: الدكتور على عبد الحليم.

ومع ذلك فإن الجهود المبذولة لحمايته لا تزال أقل من الدرجة المقبولة بل وتتضاءل عند البعض الى درجة الصفر، فلذلك يلزم علينا أن نكون مستعدين لمواجهة هذا الغزو وأن نقدم الحلول والاقتراحات التى يمكن الوصول من خلالها إلى اثبات الأمن وتطبيقه وسيادته فى جميع مجالات الحياة.

بم يكون حراسة الأمن ؟

حراسة الأمن فى المجتمع وكذلك حراسة الأفكار من المزالق الفكرية تكون بالتصدي للغزو الفكري الثقافي الذي يبث عبر القنوات الفضائية من خلال التشكيك فى العقيدة الإسلامية، وبث السموم بحجة الدفاع عن المرأة وحقوقها وإبرازها على المسرح العام، وبث الوهن فى سلوكيات أبنائنا، وذلك بإقامة البرامج التى تتحدث عن الأمن الفكري، وتحقيق المحبة وتشجيع الشباب على إقامتها وتجسيدها وتنفيذها عن طريق الإذاعة والدروس والمحاضرات، واستغلال المناسبات وشغل أوقاتهم فيما يعود عليهم بالنفع، واستغلال حصص النشاط والمراكز الصيفية، وتذكير الجيل بشرف المهمة، واستغلال طاقاتهم فيما ينفع ويعود بالنفع على الاسلام والمسلمين.

لننتقل من هنا الى جزء آخر من هذا الموضوع ألا وهو "أثر الأمن الفكري على الشباب". إننا قد علمنا من خلال الصفحات السابقة معنى الأمن ومفهومه وأقسامه والغزو الفكري، وكذلك كيف يمكن تحقيق الأمن الفكري فى المجتمع وما هي التحديات التى يواجهها المجتمع.

وفى السطور التالية نبحث عن الشباب وأهميتهم فى المجتمع ودورهم فى بناء الأمن الفكري، وكذلك ما هي الأمور التى انشغل بها شبابنا فى هذا العصر، ففقدوا الأمن الفكري، ولا يُرى عليهم أثر ذلك، وكيف بعض الشباب ينحرف عن الصراط المستقيم الى الصراط الهالك بسبب قلة العلم فى العلوم الشرعية، والجهل بمصالح المسلمين، وعدم الرجوع الى كبار العلماء فى النوازل، وكيف يلبس بعض الشباب لباس التطرف والادمان على المخدرات والسلوكيات غير الحسنة، وكيف يمكن درء هذه السلبيات والمفاسد عن الشباب ليكونوا صالحين مصلحين لأبناء المجتمع ويتمتعوا بسلاح الأمن الفكري ويُرى أثره عليهم.

☆☆☆

(يتبع)

ركن الطلاب

ما يجب على المسلمين تجاه القرآن ؟

عبد الرحمن لطف الحق
السنة الثانية للعالمية

الحمد لله رب العالمين الذى خلق السماوات والأرضين، والصلا ةوالسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن القرآن هو كتاب الله المبين وحبل الله المتين وهدى للمتقين ورحمة للناس أجمعين، وكل ما تضمنه حق، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وليس فيه ما يعارض المنقول من أحاديث الرسول ولا يخالف المعقول، بل تتلقاه الطباع السليمة بالقبول، وهذا الكتاب أنزله الله على خير عبده محمد ﷺ ليهدي به قلوبا غلفا وأعينا عميا وآذانا صما وليخرج به الناس من الظلمات الى النور ومن عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن، قال الله عز وجل: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (١) وقال جل شأنه: ﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم﴾. (٢)

فاذا علمنا تلك المقاصد التى أرادها الله بإنزال هذا الكتاب يجب علينا أن نعرف أيضا ماذا يجب على المسلمين، رجالا ونساء وشبانا وشيبا وعلماء وعامة تجاه القرآن، فأود أن أذكرها فيما يلى لكي يعرفها المسلمون ثم يسلكوا تلك السبل.

(١) إن أول ما يجب على المسلمين نحو القرآن هو أن يؤمنوا بأنه الحق من رب العالمين وأن الله قد تكفل بحفظه إلى يوم الدين فلا يمكن تغييره ولا تبديله ولا تحريفه أبدا

(١) النحل: ٨٩.

(٢) المائدة: ١٦.

وذلك لقوله عز وجل ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. (١)

(٢) وكذلك على المسلمين أن يُكثروا من تلاوة القرآن الكريم فإن لتلاوته فضلا كبيرا وأجرا عظيما وثوابا وافيا، وأن القرآن والسنة حافلان بالأدلة الكثيرة التى تنص على أهمية تلاوة القرآن وفضله، فمن القرآن قوله عز وجل: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾. (٢)

ومن السنة قول النبى ﷺ "من قرأ حرفا من كتاب الله فله به عشر حسنات والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف". (٣) ولكن أين المسلمون من تلاوة هذا القرآن العظيم ؟ وأين تلك البيوت التى كانت ترج بأصوات القرآن الكريم ؟ ولَكم كان مبعث الأسف والحزن أن فى كثير من البيوت لا يتلى فيها القرآن أصلا بل جعلوا بيوتهم قبورا، وفى مثل هذه البيوت التى لا يُذكر فيها الله لا تنزل فيها الرحمة والبركة ولا تدخل الملائكة بل تكون مأوى للشياطين.

(٣) وكذلك يجب على المسلمين نحو القرآن أن يعملوا بما فيه من أوامر ويتركوا ما فيه من زواجر، فالذى يتلو القرآن ولا يعمل بما فيه فمثله كمثل الحمار يحمل أسفارا وأن الله تبارك وتعالى شبه اليهود بالحمار لما تركوا العمل بالتوراة كما قال الله عز وجل ﴿مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ (٤) فمثلنا أيضا يكون كالحمار إذا تركنا العمل بهذا القرآن العظيم ويكون لنا إذا نصيب من قوله تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾. (٥)

وقد رُوي عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: "كان الرجل منا إذا تعلم

(١) الحجر: ٩.

(٢) أخرجه الترمذى، رقم الحديث: ٢٣٢٧، وصححه الألبانى.

(٣) الجمعة: ٥.

(٤) طه: ١٢٤.

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه، رقم الحديث: ٥٠٢٧.

عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلمَ معانيهن والعمل بهن". (١)

(٤) تبليغ تعاليم القرآن: فنظرا الى قوله ﷺ "خيركم من تعلم القرآن وعلّمه" (٢) ونظرا الى جميع تلك الآيات والأحاديث التى تبيّن أهمية تبليغ القرآن، يجب على حاملى القرآن أن يبلغوا من تعاليمه فى الناس ويعموا نشره فى المجتمع. وأحسن صورة أرى لذلك أن يُجعل لهم موعد فى المسجد بعد الصلاة أو فى أي وقت مناسب كان وفى أي موضع ملائم كان، ليحضر فيه الناس لتعلّم القرآن وتفهّم معانيه، وعلى العلماء أن يرغّبوهم فى الاشتراك فى مثل هذه الأندية والمجالس العلمية المباركة، وكذلك يجب على العلماء أن يمنحوا الذين لا يعلمون العربية تفاسير القرآن، وتراجم معانيه التى نُقلت إلى اللغة الانجليزية أو الأردية أو البنجالية أو الهندية وما إلى ذلك، وكذلك يجب على العلماء أن يعمموا تعاليم القرآن فى غير المسلمين أيضا ويبينوا أمامهم من القرآن حقيقة الإسلام وبطلان الأديان الأخرى وحقيقة الموت والبعث والحساب والجنة والنار وثواب المحسنين وعقاب الظالمين ويرسّخوا فى نفوسهم ويثبتوا فى أذهانهم من أدلة القرآن بأنه لا فلاح ولا نجاح لا فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا بأن يؤمنوا بهذا الكتاب ويعملوا بمقتضاه وعلى المبلغين أن يعرضوا أمامهم أقوال الباحثين والمفكرين الذين شهدوا بحقّانية القرآن من غير المسلمين من اليهود والنصارى والمشركين لتطمئن قلوبهم وتشفى صدورهم وتسكن نفوسهم.

وفى الختام أسأل المولى جل وعلا أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا وأن يجعلنا من الذين تعلموا العلم والعمل معا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، آمين.

☆☆☆

(١) فاطر: ٢٩—٣٠.

(٢) تفسير الطبرى، ١/٤٦.

المجلة تهدف إلى

- ☆ إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكري، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الإسلام، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الإسلامية والثقافة الدينية.
- ☆ مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمباديء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.
- ☆ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق ووعي وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.
- ☆ إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعي الإسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الإسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.
- ☆ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.
- ☆ التوجيه الديني السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضي فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد.

عـــدد صفحـــات الجـــزء: ٦٠